أشهر المفسرين من الموالي في عصر التابعين

وأثرهم في التفسير

إعداد

د.عبد الرحمن بن عبد الله العمري

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد:

فإن المتأمل والناظر في علماء الإسلام، وخاصة في عصر التابعين ومن بعدهم، يجد أن أكثرهم من الموالى، سواء في ذلك علماء الشريعة، أو علماء العربية، أو غيرها، وهؤلاء الموالى، سواء من كان منهم رقيقاً من الأصل، أو ممن جرى عليه الأسر والرق، فأصبح مولى، وخاصة ممن كان منهم من العجم.

يقول ابن خلدون في مقدمته: (من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم من العجم، في كل العلوم الشرعية والعقلية، وإن كان منهم العربي في نسبته، فهو عجمي في لغته، ومرباه، ومشيخته، مع أن الملة عربية، وصاحب شريعتها عربي.

فكان صاحب صناعة النحو سيبويه، والفارسي من بعده، والزجاج من بعدهما، وكلهم عجم في أنسابهم، وإنما ربوا اللسان العربي فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب، وصيروه قوانين وفناً لمن بعدهم، وكذا حمله الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام، أكثرهم عجماً أو مستعجمون باللغة والمربى، وكان علماء أصول الفقه كلهم عجماً كما يعرف، وكذا حملة علم الكلام وكذا المفسرين، ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم، فاعتبر ذلك وتأمله ترى عجباً في أحوال الخليقة)[١].

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: (كان أكثر علماء العصر الأول من الموالى الذين دعوا إلى الإسلام فأجابوا، يستوي فيهم من جرى عليه الأسر والرق، ومن لم يجر عليهم، فالجميع قد سموا بالموالى، فكان منهم العلماء والهداة والمرشدون، دعوا أقوامهم فأجابوا، ونقلوا العلم الإسلامي إلى كل من يجهله من أهل الأقاليم المختلفة) [٢].

مما تقدم نشأت فكرة هذا البحث: ((أشهر المفسرين من الموالى في عصر التابعين وأثرهم في التفسير))

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تكمن أهمية هذا الموضوع في أن الحديث عن أولئك الموالى هو حديث عن طائفة من أهل العلم الذين تعلموا علم الشريعة، وخاصة العلم الذي يهتم بكلام الله عز وجل ثم عملوا به وعلموه، وحملوه لمن بعدهم.

وأولئك العلماء هم أغلب من حفظ العلم، ودونه، فكان لزاماً علينا أن نعرف لأهل الفضل فضلهم، وأن نبين جهودهم، ونشيد بها، لأن أولئك هم ورثة الأنبياء، وكفي بذلك شرفاً لهم ولمن يهتم بهم ويحاول أن يبرز جهودهم، كل في الفن الذي برع فيه، وبرز وأجاد وأفاد.

الدراسات السابقة حول هذا الموضوع:

١- الموالى ودورهم في الدعوة إلى الله تعالى، للدكتور:عماد على، وهو كما يتضح من العنوان اهتم بذكر الموالى الذين كان لهم اهتمام بالدعوى إلى الله تعالى، وذكر منهم بعض من اشتهر بالتفسير دون ذكر أمثلة على ذلك.

٢- تفسير التابعين، عرض ودراسة مقارنة، د. محمد بن عبد الله الخضيرى، وهى رسالة علمية نال الباحث بها درجة الدكتوراه، من جامعة الإمام ، وهى من أفضل الرسائل العلمية التي تحدث فيها الباحث عن التابعين عموماً، وقارن بينهم في التفسير، من حيث مقدار المروى عن كل واحد منهم، مع بيان أبرز المعالم المنهجية، لكل واحد منهم، وبيان طرقهم ومناهجهم، وما انفرد به كل واحد عن الآخر، وبيان الخصائص، وعوامل السبق عند البعض منهم.

خطة البحث:

١- المقدمة: وتشتمل على:

أ- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ب- الدراسات السابقة للموضوع.

ج- منهج البحث.

د- التعريفات.

٢- الفصل الأول: الولاء وأنواعه في الإسلام وفيه مبحثان:

الأول: أنواع الولاء وأسبابه

الثاني:الموالى في ظل الإسلام

٣- الفصل الثاني: الموالى في عصر الرسول وخلفائه الراشدين وفيه مبحثان:

الأول:الموالى في عصر الرسول

الثاني: الموالى في عصر الخلفاء الراشدين

٤- الفصل الثالث: الموالى والتفسير وفيه مبحثان:

الأول: حاجة الناس إلى التفسير.

الثاني: مفسرو الموالى من التابعين

منهجي في البحث:

١- الاعتماد على المصادر الأصلية.

٢- تخريج الآيات الواردة في ثنايا البحث.

٣- عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية مع بيان درجة الحديث إذا كان في غير الصحيحين ما أمكن.

٤- التعريف بالأعلام وخاصة إذا كانوا من غير المشهورين.

٥- التعريف ببعض المفردات الغريبة التى ترد في ثنايا البحث.

٦- عمل فهرس للمصادر، والمراجع، والموضوعات.

هذا وأسأل الله عز وجل أن أوافق في إخراج هذا البحث، وأن أوصل الفكرة التى أردت أضافتها للقارئ، كما أسأله أن يجعل فيه الفائدة، وأن ينفع به كتابه وقارئه وكل من يطلع عليه،وأن يكون لي ذخراً يوم لقاه.

التعريفات:

لفظ مولى له إطلاقات عديدة ، لكل منها مدلول يختلف عن الآخر، فقد نجد هذا اللفظ يطلق ويعطى معنيين متضادين، كالسيد، والعبد، وقد يطلق ويراد به عدة معان ولكى نتفق على حقيقة الموالى فلابد من الوقوف على كل إطلاق على حدة.

أولا: الموالى يطلق ويراد به: السيد أو المالك.

نجد ذلك في سياق القرآن الكريم، ففي سورة الأنعام، يقول الحق سبحانه وتعالى: (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ) (٣)

وفي سورة يونس نجد قوله تعالى: (هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ورُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الحَقِّ) (٤)

قال ابن منظور: (المولى اسم يطلق على الرب والمالك والسيد والمنعم)(٥)

وقال الفيروز آبادي: (الولي: الرب والناصر) وقال:(المولى: المالك) وقال أيضاً:هو يتمولى: أى يتشبه بالسادة(٦).

ومن هنا يتبين لنا أن المولى، قد يراد به السيد والمالك، وهذا كثير في كلام العرب.

ثانيا: المولى يطلق على الناصر:

وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم، ومن ذلك قوله تعالى: (بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ) (٧)

ومنه قوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وأَنَّ الكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ) (٨)

ومنه قوله تعالى: (أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ) (٩)

ثالثا: المولى يطلق على الحليف:

قال ابن منظور: المولى: الحليف(١٠) وهو من اعتز إليك فعز بعزك، وامتنع بمنعتك، وكذا قال صاحب المصباح المنير(١١).

والولاء بمعنى الحلف، كان معروفا قبل الإسلام وظل بعده، وهو قد يكون بين فرد وفرد، وقد يكون بين قبيلة وقبيلة، وهذا كثير(١٢).

رابعا:المولى يطلق على العبد والمعتق.

قال ابن منظور: المولى المعتق، انتسب بنسبك، ولهذا قيل للمعتقين:الموالى(١٣).

وقال صاحب المصباح:المولى العتيق أو المعتق والمعتقين(١٤).

وقال صاحب القاموس:المولى العبد، و المعتق. (١٥)

خامسا: المولى يطلق على الأقارب وأبناء العمومة.

وقد حكى القرآن عن زكريا عليه السلام تضرعه إلى الله أن يرزقه ولداً يحمل الرسالة من بعده خشية أن يبدل أقاربه في دين الله، فقال كما حكى الله عنه: (وإِنِّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِن ورَائِي) (١٦)

وقال الفراء: الموالى: ورثة الرجل وبنو عمه، والولي والمولى بمعنى واحد في كلام العرب(١٧).

وقال صاحب القاموس: المولى القريب، كابن العم ونحوه(١٨).

وقال صاحب المصباح: المولى ابن العم(١٩).

وقال الجوهري: الموالى أبناء العمومة(٢٠).

وعلى هذا المعنى يرد قول النبي عليه الصلاة والسلام، في الولاية في النكاح: ((أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل....)) (٢١) والمعنى: بغير إذن قريبها.

ومن خلال هذا العرض لإطلاقات لفظ (المولى)، وما ذكره علماء اللغة من معانى لهذا اللفظ، وأنه يطلق بأكثر من معنى، نستطيع الوقوف على أنواع الولاء لنحدد من خلال ذلك حقيقية الموالى، وهذا ما سنوضحه في المبحث التالى، بإذن الله تعالى.

الفصل الأول

الولاء وأنواعه في الإسلام، وفيه مبحثان

المبحث الأول: أنواع الولاء وأسبابه

الولاء في الإسلام رباط وثيق من الروابط التي شرعها الإسلام ليضمن للمجتمع ترابطه وتماسكه، وليجنبه شر الطبقية البغيضة التي تفكك الأوامر وتقطع الأرحام.

والحق أن الإسلام دين يحسن الحسن ويقره، ويقبح القبيح وينكره، لهذا رأينا أن الإسلام لا ينكر من الشرائع والأعراف ما يتفق مع كرامة الإنسان وصحة العقيدة، فما دام التعارض قد انتفي فلا بأس أن يقر الإسلام عرفاً هو في صالح الإنسان.

ويوم أراد الله للإسلام أن يعم الأرض بنوره، وأوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وسلم، وقف ليعبر عن المهمة التي من أجلها أرسل، فقال :((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) (٢٢)

وعندما جاء الإسلام كان الولاء منتشراً بين العرب في الجاهلية يتصرفون فيه حسبما توحى إليهم ضمائرهم، لا يعتمدون في ذلك على قانون سماوي، ولا دستور وضعي قام على أساس سليم، وروعيت في مصلحة الطرفين – المولى ومولية – فكان من الضروري والخير والمصلحة ألا يهمل الإسلام تلك الرابطة والصلة التي بين المعتق والمعتق، والمسماة (بالولاء) وكذلك تلك الصلة التي تكون بين المتحالفين والمسماة أيضا (بالولاء) فكيف يهملها أو يتغاضى عنها وهى صلة نصرة ومحبة، والإسلام يدعو إلى التعاون والمحبة، لأنهما من المبادئ الهامة التي تقوم عليهما نهضة الأمم وسيادة الشعوب (٢٣).

ولهذا عرف النبي صلى الله عليه وسلم الولاء بأسمى تعريف يرفع فيه المولى إلى درجة الأخوة التي تنشأ عن النسب فقال: (الولاء لحمة كلحمة النسب لاتباع ولا توهب)) (٢٤)

ولعل السمو بالولاء – في الإسلام – لهذه الدرجة حفز كثيراً من الناس على الدخول في الإسلام.

وقد روى البخاري في صحيحة واقعة تشهد بهذا حيث قال: لما استعصى على المسلمين حصار الطائف في سنة ثمان من الهجرة أمر النبي صلى الله عليه وسلم مناديه أن ينادى: ((أيما عبد خرج فهو حر وولاؤه لله ورسوله، فخرج ثلاثة وعشرون رجلاً فيهم أبو بكرة، تسور حصن الطائف وتدلى منه ببكرة مستديرة كان يستقى عليها، فكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، فأعتقهم، ودفع كل رجل منهم إلى رجل من المسلمين يمونه)) (٢٥).

والإسلام حينما أُقر هذه الرابطة، أحاطها بنظم تكفل لها الاستمرار، وتجعلها تؤتى ثمارها، فنهى عن بيع الولاء وهبته، كما في الحديث السابق، ((الولاء لحمة كلحمة النسب لا تباع ولا تهوب)) (٢٦).

قال الشوكاني: فيه دليل على أنه لا يصح بيع الولاء ولا هبته، لأنه أمر معنوى كالنسب، فلا يتأتى انتقاله، ثم حكى قولاً لابن بطال قال فيه: أجمع العلماء على أنه لا يجوز تحويل النسب، وحكم الولاء حكمه، لحديث ((الولاء لحمة كلحمة النسب لاتباع ولا توهب)) (٢٧)(٢٨)

أنواع الولاء:

الولاء بالمفهوم الخاص له أربعة أنواع:

الأول: ولاء السائبة.

الثانى:ولاء العتاقة.

الثالث:ولاء الموالاة.

الرابع:ولاء الاصطناع.

وإن كنا قد صدرنا هذا المبحث بعنوان: أنواع الولاء وأسبابه، إلا أنه من العسير التفريق بين الولاء وسببه، لأن نوع الولاء تابع لسببه، فهو لا يحدد إلا بتحديد سببه.

النوع الأول: ولاء السائبة:

السائبة: هي المهملة، والمعنى: أن العبد يعتق على أن لا ولاء له لأحد.[٢٩]

وقد كان هذا النوع من العتق شائعاً عند العرب في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أبطله، إلى جانب ما كانوا يسيبون من أنعامهم، فلم يقر هذا العمل الخاطئ محافظة على تلك النسمة أن تصبح شريدة طريدة للجوع والعري وعوادي الزمن [٣٠].

فعن هزيل بن شرحبيل قال: جاء رجل إلى عبد الله- يعنى ابن عمر- فقال: إني أعتقت عبداً لي وجعلته سائبة، فمات وترك مالاً ولم يدع وارثاً، فقال عبد الله: إن أهل الإسلام لا يسيبون، وأنت ولى نعمته ولك ميراثه، وإن تأثمت وتحرجت في شيء فنحن نقبله ونجعله في بيت المال[٣١].

وبهذا سد الإسلام باباً من أبواب التشرد والضياع وقضى على ألاعيب الجاهلية، فقد كان بعض أهل الجاهلية إذا طعن عبده في السن أعتقه سائبة، فلا تربط به رابطة، فرفض الإسلام هذا ، وأبطله، لأن هذا ليس من الإسلام في شيء، وذلك حتى يكفل للمولى المعتق طعامه وشرابه، وأهل بيت يأوونه، وعصبه يحمونه.

النوع الثاني:ولاء العتاقة

ويسمى ولاء النعمة، وذلك لأن المعتق أنعم على المعتق بالحرية فاستحق الولاء أن يسمى بسببه، وهو الإنعام بالعتق.

قال في المبسوط: ولاء النعمة ولاء العتاقة، وإنما اخترنا هذه العبارة اقتداءً بكتاب الله عز وجل، حيث يقول سبحانه : (وإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتَّقِ اللَّهَ) [٣٢] أى أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالعتق[٣٣].

وكان من الأوضاع المنتشرة في الجاهلية أن يبيع الملك عبداً ويشترط ولاءه لنفسه، فجاء الإسلام فأقر ولاء العتاقة، وألغى الشرط الفاسد، فقال صلى الله عليه وسلم :((الولاء لمن أعتق)) (٣٤).

وإلغاء الشرط الفاسد في العتاقة كان في مصلحة المعتق، إذ أن هذا الشرط يجعل المعتق مشتتاً، لا يدرى لمن ولاءه، اللمالك الأول الذي باعه واشترط؟. أم للذي أعتقه؟ فحسم الأمر بجعل الولاء لمن أمتن بالعتق، ويعتبر الولاء بالعتق من أقوى أنواع الولاء.

النوع الثالث : ولاء الموالاة.

الموالاة مأخوذة من المتابعة، والأصل فيه المعاونة والمقاربة، وهو عبارة عن عصوية ناشئة بسبب التعاقد على التناصر والمنعة، في درجة أقل من عصوبة النسب.

وهذا النوع – أيضاً – كان موجوداً قبل الإسلام، ولكنهم كانوا يسمونه حلفاً، بمعنى أن يكون الرجل ضعيف العشيرة فيأتي نسبياً شريفاً فيعاقده على التناصر، ويقول: أعتز بعزك وامتنع بمنعتك، وسمى حلفا لأنهم كانوا يؤكدون على ذلك بحلف الأيمان.

وقد أقر الإسلام هذا الولاء فقال صلى الله عليه وسلم: ((مولى القوم منهم وحليفهم منهم)) (٣٥)

ومما يلاحظ أن ولاء الموالاة في الإسلام جد عليه في سببه أن يسلم الرجل على يدى الرجل ويتعاقد معه فيكون ولاءه له.

والأصل في هذا أن رجلاً سأل عبد الله بن عمر بن الخطاب عن رجل أسلم على يديه، فمات وترك مالا، فقال عبد الله بن عمر صلى الله عليه وسلم: ((ميراثه لك، فإن أبيت فلبيت المال)) (٣٦)

وقد اتعست دائرة الموالاة في الإسلام فشمل كل من دخلوا في الإسلام – من الأعاجم وغيرهم- لأن المسلمين بعد الفتوحات أصبحوا اصحاب عزة ومنعه، فدخل كثير من العجم في الإسلام وصاروا من مواليهم.

يقول د. الطيب النجار:

والباحثون في التاريخ الإسلامي حينما يذكرون الموالى يقصدون بهم كل من أسلم من غير العرب، وذلك أن هؤلاء إما أن يكون أصلهم اسرى حرب، استرقوا ثم أعتقوا فصاروا موالى، وإما أن يكونوا من أهل البلاد المفتوحة، وهؤلاء كانوا حينما يسلمون ينضمون إلى العرب ويدخلون في خدمتهم، ويتحالفون معهم لكى يعتزوا بشوكتهم وقوتهم، وبذلك يصبحون موالى أيضاً بالحلف والموالاة(٣٧).

وقد عقد ابن خلدون في مقدمته فصلا بين فيه أن المغلوب كثيراً ما يدين بالولاء للغالب في أشعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده(٣٨).

وبهذا يبدوا أن ولاء الموالاة أوسع دائرة من ولاء العتاقة، لأنه يضم كل من أسلم من الأعاجم.

النوع الرابع: ولاء الاصطناع.

وهو عبارة عما يفعله السلطان – أو الخليفة – من تقريب بعض أفراد معينين ليخص بهم نفسه وليوطد بهم ملكة وليقاوم بهم الخارجين على سلطانه.

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته أن صاحب الدولة إذا ما استتب له الملك واستقام، يستظهر على قومه بأولياء آخرين من غير جلدتهم يكونوا أقرب إليه من سائرهم، وأخص به قرباً واصطناعا، وأولى إيثاراً وجاهاً، لأنهم يستميتون في مدافعة قومه عن الأمر الذى كان لهم، ولا رتبه التي ألفوها، فيستخلصهم صاحب الدولة ويخصهم بمزيد من التكريم والإيثار، ويقلدهم جليل المناصب والأعمال، ويقلدهم الوزارة والقيادة والجباية، وما يختص به لنفسه(٣٩).

والإسلام لم يقر هذا النوع من الولاء، بل هو من مستحدثات الدولة العباسية وابتداعها في الحكم والرياسة، فما كان الإسلام ليقر إلا أمراً يكون في مصلحة عامة المسلمين، أما هذا الولاء بوصفه السابق فإنه يعتبر مصلحة شخصية.

يقول المسعودي عن المنصور العباسي:

إنه أول خليفة استعمل موالية وغلمانه وصرفهم في مهماته، وقدمهم على العرب، فاتخذت ذلك الخلفاء من بعده – ومن أولاده خاصة – سنه، فسقطت وبادت العرب، وزال بأسها، وذهبت مراتبها(٤٠).

وقد دأب الخلفاء العباسيون على ولاء الاصطناع من الجنس الفارسي، فامتلأت القصور بالفرس، وشغلوا مناصب الوزارات والولايات والدواوين بهم، وأحاطوا أنفسهم بحراسات خاصة منهم.

ويصور لنا الطبري إلى حد وصل إسراف العباسيين في اصطناع الموالى، فيقول:

إن الفضل بن يحيى البرمكي – وهو أحد وزراء العباسيين – أتخذ بخراسان جنداً من العجم سماهم العباسية، وجعل ولاءهم للعباسيين، وأن عدتهم بلغت خمسمائة ألف رجل، وأنه قد قدم منهم بغداد عشرون ألف رجل، فسموا ببغداد الكرنبية، وخلف الباقي بخراسان على أسمائهم ودفاترهم(٤١).

ومن خلال ما تقدم من معانى لغوية لكلمة موالى، وأنواع الولاء التي أقرها الإسلام بقى أن نبين حقيقة الولاء والموالى الذين نحن بصدد البحث عنهما، فنقول:

الولاء لغة: المتابعة، يقال: والى فلان فلاناً، أي تابعه.

واصطلاحاً: هو عبارة عن تلك الصلة أو الرابطة التي تظل بين العتيق والمعتق بعد الإنعام بالحرية، أو حصول التعاقد على النصرة. (٤٢)

أما الموالى: فهم جمع مولى، وهو مصطلح يشمل كل من أعتق ونال حريته وظل على ولائه لمعتقه، وكل من دخل في الإسلام من الأعاجم.

ونظراً لكثرة الفتوحات الإسلامية التي اتسعت شرقاً وغرباً وضمت كثيراً من بلاد الأعاجم كثر هذا النوع من الولاء لكثرة الداخلين في الإسلام.

المبحث الثانى : الموالى في ظل الإسلام

إن رسالة الإسلام رسالة عالمية لكل الأجناس، ويوم جاء هذا الدين كان مسرح الحياة يموج بفوضى لا حدود لها، استباحة للأعراض واستبداداً للثروات، وطبقات تخدم طبقة أخرى وتظن فيها الإلوهية.

ولا شك أن كل هذا قد هبط بكرامة الإنسان، وتدلى بها إلى دركات سحيقة، فألف الناس الذلة والمهانة والاستعباد، وأصبح الرق من دعائم الحياة الاقتصادية في العالم كله، فجاء الإسلام فاستنقذ أولئك البائسين وأخرجهم من دركات العبودية إلى سماء الحرية.

وليس هذا بمستغرب على دين جاء وحيه يرفع شعار الحرية والمساواة بين الناس منذ أول نزوله، وينادى : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (٤٣) ويقول عليه الصلاة والسلام : (لا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود ....) (٤٤)

وليس أدل على تطلع هذا الدين إلى تحرير الناس من نزول الوحي – المكي – بنصوص تحض على العتق ومنح الحريات المسلوبة، ويجعله باباً من أبواب البر فيقول تعالى في سورة البلد: (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) ومَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤)) (٤٥)

وقد سلك الإسلام كل مسلك ليشعر الناس بأن الحرية حق طبيعي، وليس منه يمتن بها، بل يعلن العداوة، ويظهر الخصومة لكل من يقتات على حق الإنسان في الحرية، فيقول عليه الصلاة والسلام: ((ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، ومن كنت خصمه خصمته، رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استوفي أجيراً فاستوفي منه ولم يعطه أجره)) (٤٦)

مصادر الرق في الإسلام:

جاء الإسلام وأبواب الاسترقاق كثيرة، فالإعسار في قضاء، والأسر في الحرب، والاختطاف في الغرات، والعقوبة في جزاء السرقة، كلها مصادر واسعة للعبودية وروافد غنية تعمر أسواق النخاسة.

فألقى الإسلام كل هذه المصادر، ولم يقر منها إلا الاسترقاق في حالة واحدة وهى الاسترقاق في حالة الحرب، وليست أي حرب بل الحرب المشروعة[٤٧] وحتى هذا المصدر جعل الإسلام يقيده بضوابط تحد منه ومن ذلك:

١- أن من أعلن أسلامه قبل الأسر فلا يضرب عليه الرق بحال من الأحوال.

٢- أن من وقع في الأسر ولم يثبت اشتراكه في القتال فلا يسترق، لأن الإسلام قيد الأسر بالإثخان، وهو كثرة القتل للعدو ومجاهدته.

ليس هذا فقط بل دعا الإسلام – بعد الأسر – بقبول الفداء إن كان الأسير يملك فداء، أو المن بلا فداء قال تعالى : (فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وإِمَّا فِدَاءً). [٤٨]

وقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسرى بدر بالفداء بعد أن استشار أصحابه، وآثر ما يتفق مع طبعه الرحيم.

وجعل الإسلام أمر الأسرى متروك الاجتهاد لولى الأمر يتصرف فيهم حسبما تمليه المصلحة العامة، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق، حيث اعتق جويرية بنت الحارث وتزوجها، فاعتق المسلمون ما بأيديهم من السبي ، وقالوا : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعتق بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق يومئذ.

مصاريف الرق في الإسلام:

بعد أن ألغى الإسلام مصادر الرق، وضيق أبوابه شرع كثيراً من المصارف التي لو ألتزمت، لكانت كفيلة بالقضاء على الرق بمجرد انقضاء قرن أو قرنين من عمر الإسلام، ومن هذه المصارف:

١– كفارة القتل الخطأ:

فمن قتل مؤمناً خطأ وجب عليه دية مسلمه وتحرير رقبة كما قال تعالى: (ومَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ودِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ). (٤٩)

٢– كفارة الظهار:

فمن ظاهر من زوجته وجب عليه أن يكفر عن ذلك، قال تعالى: (والَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا). (٥٠)

٣– كفارة الإفطار في رمضان:

فمن أفسد صومه في نهار رمضان بجماع، وجب عليه مع القضاء كفارة وهى عتق رقبة، فقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيه في مثل هذا الأمر ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم:((هل تجد ما تعتق رقبة....)) الحديث(٥١)

٤– كفارة اليمين:

فمن حلف يميناً وحنث فيها، فإنه يكفر بعتق رقبة، أو إطعام، أو صيام ثلاثة أيام، قال تعالى: (فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ). (٥٢)

هذه المصارف على سبيل العقوبة، أما المصارف الأخرى التي على سبيل الترغيب فكثيرة، بل إنه جعل عتق الرقاب مصرفا من مصارف الزكاة، كما في قوله تعالى: (وفِي الرِّقَابِ) (٥٣) وعلى هذا فيجوز تخصيص مقدار معين من مال الزكاة لعتق الرقاب.

ترغيب الإسلام في العتق:

لقد سلك الإسلام كل طريق في الدعوة إلى العتق، والترغيب في منح الحريات، وله في ذلك سبل شتى ومن ذلك:

١- أنه يجعل العتق من الأعمال التي تدخل الجنة، فعن البراء بن عازب – رضي الله عنه – أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: دلني على عمل يدخلني الجنة، فقال: ((لئن أوجزت الخطبة فقد أعرضت المسألة، فك الرقبة، وعتق النسمة))، قال أو ليسا واحداً؟ قال: لا، عتق الرقبة أن تنفرد بعتقها، وفك النسمة أن تعين في ثمنها)) (٥٤)

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((أيما مسلم أعتق مؤمناً أعتق الله بكل عضو منه عضواً من النار)) (٥٥).

٢- أنه يحب العتق إلى النفوس بتعظيم أجره، فعن أبي موسى الأشعري – رضي الله عنه – قال:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من كانت له جاريه فأدبها، وأحسن تأديبها، ثم أعتقها، وتزوجها كان له أجران)) (٥٦).

٣- وتارة يجعله قربة يتقرب بها عن الميت، فعن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري أن أمه أرادت أن تعتق، فأخرت ذلك حتى تصبح فماتت، قال عبد الرحمن: فقلت للقاسم بن محمد أينفعها أن أعتق عنها؟ فقال القاسم: أتى سعد بن عبادة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ((إن أمي هلكت فهل ينفعها أن أعتق عنها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم)) (٥٧).

وعن يحيى بن سعيد قال: توفي عبد الرحمن بن أبي بكر في نوم نامه، فأعتقت عنه أخته عائشة رقاباً[٥٨].

٤- وتارة يرغب في العتق عند نزول البلاء والضوائق، ويجعله قربة يفرج الله بها الكرب ويكشف البلاء، فعن أسماء بنت أبي بكر قالت:أمر النبي صلى الله عليه وسلم ((بالعتاقة عند كسوف الشمس))[٥٩].

معاملة الرقيق في ظل الإسلام:

لقد حظي الرقيق في ظل الإسلام بمعاملة لا تقل شأناً عن معاملة الأحرار، ونالوا إحساناً لم ينله الرقيق في أي ديانة من الديانات أو في أي عصر من العصور، ويمكن بيان أمثلة لهذه المعاملة، ومن ذلك:

١- النهى عن ضرب الرقيق، فإذا كانت قوانين الحضارات السابقة، والديانات المحرفة تتيح للسادة أن يذيقوا مواليهم سوء العذاب، فإن الإسلام يجعل مجرد لطم العبد موجباً لعتقه، فعن ...أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من ضرب غلاماً له حداً لم يأته، أو لطمه فكفارته أن يعتقه))[٦٠].

وعن ابن عمر أنه أعتق غلاماً له، ثم أخذ من الأرض عوداً – أو شيئاً- فقال ما لي فيه من الأجر ما يساوى هذا ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((من لطم مملوكاً له، أو ضربه، فكفارته أن يعتقه)) [٦١].

وعن أبي مسعود البدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه يضرب علاماً فقال له :((اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك عليه)) فقال: يا رسول الله هو حر لوجه الله، فقال صلى الله عليه وسلم: ((أما إنك لو لم تفعل للفحتك – أو لمستك النار)) [٦٢].

٢- أن الإسلام كفل للموالى طعامهم وكساءهم، ورفع عنهم من العمل ما لا يطيقون، فقد روى أبو داود عن خيثمه بن عبد الرحمن بن أبي سمرة قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن عمر، وجاء قهرمان له فدخل، فقال: أعطيت الرقيق قوتهم؟ قال: لا، قال فانطلق فأعطهم، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((كفي بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت)) [٦٣].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((للملوك طعامه وكسوته، ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق)) (٦٤).

٣- النهى عن التقزز من الخادم إذا أحضر الطعام، بل يأمر بإجلاسه، أو مناولته من ذلك الطعام، فعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه، فإن لم يجلسه فليناوله لقمه أو لقمتين، أو أكلة أو أكلتين، فإنه ولى حرة وعلاجه)) (٦٥).

٤- أنه يجعل الموالى بمثابة الإخوة، ويوجب معونتهم إذا كلفوا من العمل ما يغلبهم، فعن أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)) (٦٦).

٥- العفو عن الخادم: وهنا يبلغ الإحسان ذروته، والإنسانية في أسمى معانيها، حين يأمر الإسلام بالعفو عن الخادم ولو إلى سبعين مرة في اليوم، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله: كم أعفو عن الخادم؟ فصمت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا رسول الله: كم أعفو عن الخادم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أعف عنه كل يوم سبعين مرة)) (٦٧).

٦- وإذا كانت دول الحضارات القديمة قد أنفت أن تدخل الموالى في قوانينها، فإن الإسلام قد جعل للموالى أن يقاضوا، وأن ترفع دعواهم أمام القضاء، وأن يقتص لهم ولو كان السيد هو الجاني.

فإذا قتل السيد عبده، قتل به أخذاً من عموم الآية: (أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ) (٦٨) وإذا قتل العبد رجلاً عمداً قتل به(٦٩).

وإذا قتل العبد سيده قتل هو به فقط، خلافاً لما في دول الحضارة القديمة من أن العبد إذا قتل سيده، قتل جميع عبيده، ولو لم يشتركوا في الجناية، ولا شك أن هذا ظلم وعدوان ما أنزل الله به من سلطان.

ومما يؤكد إيجاب الإسلام لقصاص الموالى، ما جاء عن عمرو بن شعيب أن رجلاً جب عبده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اذهب فأنت حر) (٧٠).

وهذه النصوص وغيرها كثير، يستدل بها على وجوب حسن صحبة المملوك، وتحذر من التعدي على آدميته، أو إذلاله، أو احتقاره،....

ومضى الإسلام يحسن لهؤلاء الضعفاء، ويصون كرامتهم ومشاعرهم من أن تخدش ولو بكلمة بذيئة، فقد قال عليه الصلاة والسلام ((لا يقل أحدكم عبدي ، وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل: غلامى وجاريتى، وفتاى وفتاتى)) (٧١).

وحتى في اختيار أسماء الموالى، أمر بتحسين أسمائهم، ونهى عن تسميتهم بأقبح الأسماء، فعن سمرة بن جندب قال: نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نسمى رقيقنا بأربعة أسماء: أفلح، ورباح، ويسار، ونافع(٧٢).

وأراد الإسلام كذلك أن يحفز الموالى للعمل الصالح حتى لا تكتنفهم نظره يائسة تضربهم وبالمجتمع، فبين أنهم متى أدوا حق الله، وحق سادتهم استحقوا الثواب الجزيل عند الله تعالى.

فعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((نعما لأحدهم أن يطيع ربه، ويؤدى حق سيده، يعنى المملوك)) (٧٣).

حتى أن أبا هريرة – رضى الله عنه – كان يتمنى أن يموت وهو مملوك، فقد روى البخاري عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((العبد المملوك المصلح له أجران، ثم يقول أبو هريرة: فو الذى نفس أبا هريرة بيده لولا الجهاد في سبيل الله، ولاحج، وبر أمي ، لأحببت أن أموت وأنا مملوك)) (٧٤).

وأول من يقرع باب الجنة المملوكون إذا أحسنوا فيما بينهم وبين الله، وبين مواليهم، فعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يدخل الجنه بخيل، ولاخب، ولاسيئ الملكة، وأول من يقرع باب الجنة المملوكون إذا أحسنوا فيما بينهم وبين الله، وفيما بين مواليهم)) (٧٥).

ولا شك في قيمة ما أسدته هذه النصوص على لسان نبى الرحمة من إحسان للموالى، ورفع لمعنوياتهم، وإشعارهم بذاتهم، وأنهم جزء من المجتمع لا مجرد خدم مستعبدين.

الفصل الثانى

الموالي في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الموالى في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم

كان الموالى في عصر الرسول يعيشون حياة كريمة في ظل الحكومة الإسلامية التي لم يتجاوز الحكم فيها ما أنزل الله من الوحي على رسوله صلى الله عليه وسلم، وكانت هذه الحياة تقوم على أساس الوحدة والعدل والمساواة بين كل الطبقات المحكومة، وتعمل على تطبيق مبادئ التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وتجعل للحاكم سلطات ترتكز حول محاور ثلاثة هي: (كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والمصلحة العامة للمسلمين) (٧٦).

وحتى نعرف الفرق بين نمط الحياة للموالى في العصر الجاهلي، وبين حياتهم في عصر الإسلام، ثم نبين موقف الإسلام منها:

أولاً : العصبية القبلية وموقف الإسلام منها

لقد كان العرب يتعاملون بالعصبية القبلية ، وكانوا على الرغم من تأخرهم في الأخذ بأسباب المدنية، يغالون في تقدير أنفسهم، ويعتزون بالنسبة إلى قبائلهم.

ولم تكن عصبيه العرب لأمة، وإنما هي عصبية قبلية، فكل فرد من قبيلة يتعصب لها ويغار عليها، ولو ضد عربي مثله، بل إن العصبية قد جمحت بأهل الجاهلية لدرجة أن جعلتهم لا يجتمعون على عبادة إله واحد ، بل كان لكل قبيلة إلهها أو صنمها الخاص بها.

ولم يكن العرب لديهم شعور قوى بأنهم أمة، إنما كان الشعور القوى عندهم شعور الفرد بقبيلته، حتى لو حصل أن اجتمع العرب على مفخرة، فإن كل قبيلة تفاخر بنصيبها في هذه المفخرة لا غير(٧٧).

ومما يشهد بذلك أن العرب لما انتصروا يوم ذي قار(٧٨) على فرقة من الجيش الفارسي حملتهم العصبية على ألا يتفاخروا بنصر حازه العرب، بل تفاخروا بنصرة القبائل التى اشتركت في هذه المعركة وهم: الشيبانيون، والعجليون، واليشكرون، حتى قال أبو تمام يمدح أبا دلف العجلى:

إذا افتخرت يوماً تميم بقوسها وزادت على ما وطدت من مناقب

وانتم بذى قار أمالت سيوفكم عروش الذين استرهنوا قوس صاحب(٧٩).

وقد دعت هذه العصبية العرب إلى المغالاة في الاعتزاز بأنفسهم – أكثر وأكثر- إذا ما جاوزوا حدود جزيرتهم، ويروى الألوسى في كتابه بلوغ الأرب واقعة تشهد بهذا، فيقول:

(قدم النعمان بن المنذر إلى كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين، فتحدثوا عن ملوكهم وبلادهم، فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الأمم، لا يستثنى فارس ولا غيرها، وامتدح العرب والمنعة فقال: حصونهم ظهور خيلهم، ومهادهم الأرض، وسقوفهم السماء ، وجنتهم السيوف، وعدتهم الصبر، إذ غيرهم من الأمم عزهم من الطين والحجارة، وجزائرهم البحور، وأما حسن وجوهها فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم: من الهند المنحرفة ، والصين المنحقة، والترك المشوهة، والروم المنشرة...) وأطال النعمان في ذكر فضائل العرب ومزاياها على غيرهم من الأمم. (٨٠).

وهذا النص يشهد بجلاء ووضوح بما كان عليه العرب من اعتدادهم بأنفسهم واحتقارهم لغيرهم من الأمم.

ومن هنا تبدو لنا أبعاد العصبية الجاهلية القبلية التى كانت للعرب في جاهليتهم ضد الأعاجم، ومدى ترفعهم عن مصاهرتهم ولو كانوا ملوكاً، ولهم من الأمر والنهى والنفوذ والسلطان ما ليس لهم.

وسبب امتناع العرب من تزويج ابنته إلى أعجمي هو تكرم العرب عن الأعاجم، واستعلاؤهم عليهم، ونظرتهم إلى الأعاجم على أنهم دونهم في المنزلة والكرامة، لذلك رأوا أن تزويج بنت عربية إلى أعجمي ، خسة وليس بعدها خسة، حتى وإن كان العربي فقيراً لا يملك شيئاً، بل عابوا على العربي الذي يتزوج من أعجمية بسبب النسل، واستصغروا شأن المولود من أب عربي وأم أعجمية، فهو وإن كان عربياً في عرف العرب من حيث النسب إلى الأب، إلا أنه أعجمي من ناحية الأم، فهو دون الأصيل في المرتبة(٨١).

ومما هو جدير بالذكر هنا أن امتناع كثير من قبائل العرب – في بادئ الأمر – عن الدخول في الإسلام كان مرده إلى تلك العصبية القبلية، فكل قبيلة تتمنى أن يكون لها هذا الشرف، إذ حسبوا أن الرسالة زعامة، حتى أن أبا جهل بن هشام ليقول عن بني عبد مناف: أطعموا فأطعمنا، وكسوا فسكونا ... حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي، فلا نؤمن له ولا نصدق به(٨٢).

وبجانب هذه العصبية القبلية، كانت هناك عصبيات فردية، بمعنى وجود طبقية في داخل أفراد كل قبيلة، ففيهم السادة والعبيد، والموالى والتابعين، والمستضعفين، وتلك هي العصبية التي عبر عنها القرآن الكريم بحمية الجاهلية، حيث قال تعالى:

(إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّة) [الفتح:٢٦]

ومما هو جدير بالذكر أن العصبية والحمية التي كانت بين الأقوياء والضعفاء، كانت واضحة بين أهل الحضر، أما الأعراب وأهل البادية، فقد كان مجتمعهم مجتمعاً ساذجاً ليس في تكوينه عقد ولا طبقات، فقد صقلت البادية أهلها، وبسطت لهم أسلوب الحياة، وقلصت من الفروق الطبقية فيما بينهم، فلا تجد عندهم ما تجد عند الحضر من اختلاف كبير في منازل الناس(٨٣).

ولما جاء الإسلام أخمد جذوة هذه العصبية فهي لا تتفق مع مبادئه، فلا أنساب، ولا أحساب، ولكن تقوى، وعمل صالح.

وقعد قاعدة عريضة كأساس في التعامل: أن الناس جميعا لآدم، وآدم خلق من تراب وأن من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه(٨٤).

وقد كان لله – عز وجل- حكمة عالية في اختيار نبيه صلى الله عليه وسلم من أعرق الأنساب، وأشرف البطون، ليحارب العصبية التي جعلت من الناس بعضهم أرباب بعض، إذ لو حارب العصبية قليل النسب، لاتهمت دعوته بأنها ثورة مجتمع على أوضاع باطلة وأنظمة فاسدة(٨٥).

الموالى في يوم الفتح:

لم يكن يوم الفتح العظيم مجرد فتح لبلد طالما أوصدت أبوابها، ولكنه كان يوم فتح للعقيدة، وتطهير للقلوب من أدران الشرك والوثنية، ولما وطد رسول الله صلى الله عليه وسلم أركان العقيدة، وأزال معالم الشرك وآثاره، قام بفتح للبشرية في معاملاتها، فأبطل الربا، والقتل بغير الحق، وحرم الدماء والأموال والأعراض... ووضع كل مأثرة تحت الأقدام ، إلا سدانه البيت، وسقاية الحاج.

ثم عمد إلى فتح جديد قرر فيه المساواة بين الناس، ومحا به كل معالم الجاهلية وعصبيتها(٨٦).

يقول ابن الأثير:

(...وفي يوم فتح مكة – أعظم أيام الإسلام- أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً أن يؤذن فوق ظهر الكعبة، وقريش فوق الجبال، منهم من يطلب الأمان، ومنهم من قد آمن، فلما أذن بلال استعظم القرشيون أن يؤذن بلال- وهو مولى- فوق ظهر الكعبة، حتى نطقت ألسنة الجهل، فمنهم قائل: لقد أكرم الله أبى إذ لم يشهد نهيق بلال فوق الكعبة، ومنهم من قال: ليتنى مت قبل هذا اليوم) (٨٧).

فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخطب في الناس ليعلن هذا المبدأ أو يقرره، وكان مما قال: ((أيها الناس : إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها لآبائها، الناس لآدم، وآدم خلق من تراب، ثم تلا قول الله

تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وأُنثَى وجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [الحجرات:١٣].

وهذا النص يوضح لنا بجلاء إلى أي حد نعم الموالى بالمساواة في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم فلأن يصعد بلال فوق أطهر بقعة من الأرض، وتحته سادات قريش ممن كانوا يستذلونه لهو أكبر وأعظم دليل على أنه لا يرقى الإنسان أعلى المراقي في هذا الدين نسبه ولا بحسبه، ولكن بمقدار إخلاصه وولائه لهذا الدين ، ولو كان عبداً حبشياً.

وعلى هذا فلا عجب بعد ذلك أن يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يتحدث عن بلال – المولى- فيقول: أبو بكر سيدنا، واعتق سيدنا. يعنى بلالاً، ولا نستغرب من أبى ذر وهو يضع خده على الأرض لبلال ويقول: قم فطأ على خدى، وذلك بعد أن عيره بأمه، فأنبه الرسول صلى الله عليه وسلم على ما فعل، وكان مما قال له : ((إنك امرؤ فيك جاهلية)) (٨٨) وقال له أيضاً: ((طف الصاع، طف الصاع، ليس لابن البيضاء على السوداء فضل إلا بالتقوى، وصالح العمل)) (٨٩).

وبهذا سار الموالى إلى جانب العرب كتفاً بكتف، وقدماً بقدم، فنعموا ونعم المجتمع بحياة هانئة، لا يرى فيها أى أثر لعصبية، حتى إن أبا ذر كان إذا مشى ومعه أحد مواليه يأبى إلا أن يضع عليه من لباسه.

وتأكيداً لما أقره النبى صلى الله عليه وسلم في يوم الفتح من المساواة، نجده في حجة الوداع- بعد عامين من فتح مكة- يخطب في الناس وقد كانوا أكثر من مائة وعشرين ألفاً، فقال: ((أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم خلق من تراب، لا فضل لعربى على عجمى، ولا لعجمى على عربى، ولا لأسود على أحمر، ولا لأحمر على أسود، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) (٩٠)

جوانب من من مساواته صلى الله عليه وسلم بين الموالى وغيرهم:

لقد عمت مساواته صلى الله عليه وسلم جميع مناحى الحياة، سواء في الحدود، أو العطايا، أو الإمارة، أو الشهادة، أو الشورى... وهذه أمثلة ونماذج لذلك منها:

١- ففي الحدود: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يحابى أحداً أصاب حداً مهما كانت درجته أو قرابته، وكان يأبى الشفاعة في ذلك، فعن عائشة رضى الله عنها- أن قريشاً أهمتهم المرأة المخزومية التى سرقت، فقالوا من يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يجترئ عليه، إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلم اسامة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، فقال ((أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فخطب فقال: ((أيها الناس: إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لأقمت عليها الحد)) (٩١).

وهذا النص يبين لنا مقدار غضبه صلى الله عليه وسلم ممن يشفع في حدود الله، لشرف من أصاب الحد، ويتبن هذا من قسمه صلى الله عليه وسلم بأغلظ الأيمان لو أن ابنته فاطمة أصابت ذلك الحد لأقامه عليها، على الرغم من حبه لابنته فاطمة حباً شديداً.

وهل بعد هذه المساواة وهذا العدل ممن يقيم الحد على أعز الناس إليه، عدل أعظم من هذا؟ بل جعل صلى الله عليه وسلم مجرد كلمة القذف ولو في حق مولى- موجبه للحد- فنجده صلى الله عليه وسلم يعظم ذلك ويقول: ((من قذف مملوكه وهو برئ، أقيم عليه الحد يوم القيامة، إلا أن يكون كما قال)) (٩٢)

٢- وفي الشهادة: ساوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس ما داموا عدولاً يؤمن عليهم الكذب، وقد روى البخاري بعض الأقضية التي اعتمد فيها النبي صلى الله عليه وسلم شهادة الموالى وبنى حكمة عليها؟

ومن ذلك: أن عقبة بن الحارث تزوج أمرأة، فجاءت أمة سوداء- وفي رواية مولاة لأهل مكة- فقالت: قد أرضعتكما، وذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فأمر بالتفريق بينهما. (٩٣)

٣- وفي الإمارة: حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمع كلمة المسلمين والبعد بهم عن كل ما فيه سبب لتشتيت الشمل، وتفريق الصف، فنجده كثيراً ما يوصى بلزوم الجماعة، والنهى عن شق عصا الطاعة، ولما كان الاختلاف على الإمارة أساس تفريق كلمة الجماعة، فقد أوصى بالسمع والطاعة لكل أمير- أيا كان جنسه أو لونه- مادام أنه يحكم بكتاب الله وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم.

فعن أم حصين قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن أستعمل عليكم عبد حبشى — ما قادكم بكتاب الله- فاسمعوا له وأطيعوا)) (٩٤)

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يؤمر الموالى على الجيوش، وربما أمر أحد الموالى، وتحت إمرته أهل الأنساب، ولو كانوا من قريش، فقد روى عن ابن عمر رضى الله عنه قال:((أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة مؤته زيد بن حارثه، وقال: إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة)) (٩٥)

كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد على البعث الذى جهزة قبيل وفاته، ولما طعن بعض الناس في إمارته قال صلى الله عليه وسلم: ((إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقاً للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلى)) (٩٦)

٤- وفي الشورى: حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تطبيق المبدأ القرآنى في هذا الشأن، في يسير الأمور وجليلها، ومن ذلك قبول النبى صلى الله عليه وسلم مشورة سلمان الفارسى بحفر الخندق في غزوة الأحزاب.

وبمثل هذا النهج تسعد الأمة، وتسود بل قد سعدت وسادت، فليس هنا تفريق بين الموالى وغيرهم.

المبحث الثانى

الموالى في عصر الخلفاء الراشدين

أولا:في عهد أبى بكر الصديق– رضى الله عنه–:

كانت شخصية أبي بكر– رضى الله عنه – الرحمة بالأمة، يبين ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال: ((أرحم أمتي بأمتي أبو بكر...)) (٩٧)

وليس من شك أن طول الصحبة والملازمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان لها أثر طيب في توجيه سياسة أبي بكر وهو يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الأمة.

ولذلك لم تكن سياسة أبي بكر تخرج عما كان عليه الحال في عصر الرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبمجرد أن رحم الله الأمة بأبي بكر، وجمع كلمتهم عليه، قام ليعلن منهجه وسياسته، فقال: (أيها الناس: إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم، قوي عندي حتى آخذ الحق له، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم) (٩٨).

وفي هذا النص دليل واضح على منهج وسياسة أبي بكر– رضي الله عنه – الذى يوضح فيه أنه سيستمر على مبدأ المساواة، وأخذ الحق وإعطائه مهما كانت قوة من عنده الحق، أو ضعف من له الحق، ولا شك أن هذه هي السياسة التي أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تسويته بين كل الناس

وكان أول عمل قام به أبو بكر – رضي الله عنه – أنه أقر إمراة الموالى وذلك بإقرار ما أقر رسول الله صلى الله عليه وسلم من إعلاء شأن الموالى ، فأمضى بعث أسامة بن زيد – مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان قد جهزه قبل وفاته.

وقد تذمر بعض الصحابة من إمرأة أسامة بن زيد، وطعنوا في إمرته كما طعنوا عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم [٩٩] حتى أن نفراً من الجيش بعثوا عمر بن الخطاب لأبي بكر يطلبون إليه أن يولى عليهم رجلاً أقدم سناً من أسامة، فثارت ثائرة أبي بكر وكان جالساً فقام، وأخذ بلحية عمر وقال مغضباً: ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطلب مني أن أنزعه[١٠٠].

وهكذا نجد أن أبا بكر كان يهتم بالموالى ويحرص على أن ينالوا حقوقهم كاملة، حتى أنه أقر للموالى من أهل البلاد المفتوحة، أن يتمتعوا بكل ما يتمتع به العرب الفاتحون من حقوق، وألزمهم بما عليه من واجبات.

وأما سياسته المالية، فقد أعلن من أول يوم أن ألفيء حق لكل مسلم، فسوى بين الناس جميعاً في ذلك، العرب ومواليهم، وهو يحاذر كل الحذر أن ينال منها شيئاً بغير حق، أو أن يفضل أحداً على أحد.

جاء في خراج أبي يوسف: (أن أبا بكر جاءه مال فقسمه بين الناس، فأصاب كل واحد منهم عشرين درهماً، فجاءه ناس من المسلمين ، فكلموه أن يفضل أهل السبق في الإسلام، فقال أما ما ذكرتم من الفضل والسوابق والقدم فما أعرفني بذلك ، إنما ذلك شيء ثوابه على الله جل ثناؤه، وهذا معاش فالأسوة فيه خير من الأثرة) [١٠١]

وقال أبو عبيد القاسم: (ولما جاء المال لأبي بكر قسمه بين الناس بالسوية، ثم قال: وددت أني أخلص مما أنا فيه بالكفاف، ويخلص لي جهادي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) [١٠٢].

وهذه النصوص تبين وبدون شك أن عفة ولي الأمر بهذه الصورة، والعدل والمساواة بين الناس من شأنها أن ترضي كل الأفراد، وخاصة الموالي الذين لم يألفوا شيئاً من هذا العدل والرحمة في ظل إمبراطورياتهم الظالمة التي حرمتهم حق العيش الكريم، فلم يكونوا إلا مجرد عبيد للأرض، يزرعون ويحصدون، يعملون ويكدحون، ولا يحق لهم أن يأخذوا منه إلا ما يسد رمقهم. [١٠٣]

ثانيا:في عهد عمر – رضي الله عنه–:

جاء عمر الفاروق وهو عازم على أن يواصل السير على ما كان عليه صاحبيه من قبل، وكانت قاعدة الحكم عنده: الشدة في الحق للحق.

والمتتبع لسياسة عمر يجد أنها جعلت المجتمع كله في عصره يفيض عدلاً ومساواة ورحمة لأهل الإيمان، وشدة لأهل الجور.

وفي ظل هذا المنهج العادل يمكن للموالي أن يطمئنوا على أحوالهم وأموالهم، فهم يعلن أن شدته تكون لمن يتعدى على حرمات المسلمين، أياً كان هؤلاء المسلمون عجماً أو عرباً، روميين أو قرشيين.

وهكذا نرى أن خطة عمر– رضي الله عنه– كانت تسير على نفس نهج أبي بكر، وأن بين المنهجين تشابهاً كبيراً لا يخفي على أحد، مما يدل على أن الرجل لن يخالف صاحبه إلى أمر لم يسر عليه. (١٠٤)

وكانت سياسة الفاروق مع الموالي تتضح كما يلي:

١– استغلال الطاقات والمواهب، دون النظر للون أو الجنس، ولذلك نجده يبعث السائب بن الأقرع– مولى بني ثقيف– وكان رجلاً كاتباً حاسباً، إلى جيش القادسية، ويقول له: (الحق بالجيش فكن فيهم فإن فتح الله عليهم، فاقسم على المسلمين فيئهم، وخذ خمس الله وخمس رسوله، وإن أصيب الجيش، فاذهب في سواد الأرض ولا أراك فبطن الأرض خير من ظهرها). (١٠٥)

وفي يوم القادسية – أيضاً– جعل سلمان الفارسي واعظ الجيش ورائده، وولاه قسم الغنائم يوم جلولاء.

ولأن يتولى قسم الفيء والغنائم مولى من الموالي، وفي الجيش وجهاء المسلمين وأعيانهم، وأن يكون واعظهم ورائدهم لهو خير دليل على ما نعم به الموالي من مساواة الإسلام وعدله، في عصر الخلافة الراشدة، بصرف النظر عن اللون والجنس(١٠٦).

٢- وفي القسم والعطايا: فرض للموالي كما فرض للعرب، وبعث إلى أمراء الأجناد أن من أعتقتم من الحمراء[١٠٧] فأسلموا، فألحقوهم بمواليهم، لهم مالهم وعليهم ما عليهم، وإن أحبوا أن يكونوا أن يكونوا قبيلة وحدهم، فاجعلوهم اسوتكم في العطاء والمعروف. [١٠٨]

ولما دون الدواوين فرض للمهاجرين الذين شهدوا بدراً خمسة آلاف لكل فرد، وفرض للأنصار الذين شهدوا بدراً أربعة آلالف لكل فرد، وعم بفرضيته الحلفاء والموالي، الذين شهدوا بدراً، ولم يفضل أحداً منهم على أحد. [١٠٩]

٣- التفضيل بحسب الأسبقية إلى الإسلام: فقد كان – رضي الله عنه- يفضل بحسب الأسبق إلى الإسلام، ولو كان المفضلون من الموالي، وكانت قاعدته في ذلك : (لا أجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه سلم كمن قاتل معه) [١١٠].

٤- التفضيل بحسب القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا تساوى الناس في السبق إلى الإسلام، فضل بحسب المنزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أنه فضل أسامة ابن زيد على ولده عبد الله بن عمر، ولما كلمه ابنه عبد الله في ذلك قال عمر: فعلت ذلك لأن زيداً كان أحب إلى رسول الله من عمر، وأسامة كان أحب إلى رسول الله من عبد الله[١١١].

٥- رفض مبدأ المحاباة: فقد كان – رضي الله عنه – يأبى أن يحابي العرب على الموالي، فقد عشيرته – بنو عدي – وطلبوا أن يقدمهم في دواوين العطاء على غيرهم، فقال: بخ بخ بنى عدي، أردتم الأكل على ظهري، وأن أهب لكم حسناتي، لا والله حتى تأتيكم الدعوة، ولو أن تكتبوا آخر الناس، فإن لي صاحبين سالكا طريقاً، فإن خالفتهما خولف بي... والله لئن جاءت الأعاجم بعمل، وجئنا بغير عمل، لهم أولى بمحمد منا يوم القيامة، فإن من قصر به عمله لم يسرع به نسبه.[١١٢]

٦- وفي المعاملات العادية: كان لا يفرق بين مولى وعربي، فقد حضر- ذات يوم — باب عمر سهيل بن عمرو، والحارث بن هاشم، وأبو سفيان بن حرب في نفر من قريش من تلك الرؤوس، وصهيب وبلال ونفر من الموالي الذين شهدوا بدراً، فخرج ابن عمر فأذن لهم وترك أولئك، فقال أبو سفيان: لم أر كاليوم يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابه، فقال سهيل بن عمرو- وكان رجلاً عاقلاً- إني والله أرى الذي في وجوهكم إن كنتم غضاباً فأغضبوا على أنفسكم، دعي القوم فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دعوا يوم القيامة وتركتم؟(١١٣)

وكان يغضب أشد الغضب أن يساء لأحد من الموالي حتى ولو بكلمة بذيئة، فقد كان بين سعد بن أبي وقاص وسلمان الفارسي شيء فأراد أن يحرجه، فقال: انتسب يا سلمان فقال: ما أعرف لي أباً إلا الإسلام، فنمى ذلك إلى عمر، فجاء سعد وقال له: أنتسب فكأنه عرف ، فقال: أنشدك الله يا أمير الم}نين ، فأبى أن يتركه حتى انتسب ثم قال لسلمان: انتسب يا سلمان، فقال: قد أنعم الله علي بالإسلام، فأن ابن الإسلام، فقال عمر: قد علمت قريش أن الخطاب كان من أعزهم في الجاهلية، وأنا عمر ابن الإسلام، أخو سلمان ابن الإسلام، ثم التفت إلى سعد وقال: أما لولاه لعاقبتك عقوبة يسمع بها أهل الأمصار(١١٤).

ثالثا: في عهد عثمان– رضي الله عنه–:

لما توفي عمر– رضي الله عنه – لم يوص بالخلافة لأحد، وإنما جعل الأمر شورى، وأسفرت الشورى بعد ذلك على توليه عثمان – رضي الله عنه– ومما يؤسف له أن كثيراً ممن كتبوا عن عثمان– رضي الله عنه – وخاصة من أصحاب الأقلام البارزة في بعض المجتمعات، نجد أن هؤلاء يرسمون صورة سيئة عن ذي النورين، ذلك الحيي، وثالث الخلفاء الراشدين، ومن ذلك ما يثار من أن عثمان – رضي الله عنه – لما ولي الخلافة أخذ يقرب أقرباءه من بني أمية ويطلق لهم العنان في الحكم.

ومن هؤلاء:

١– د.محمد حسنين هيكل، حيث يقول عن عثمان –رضي الله عنه – (وقد كان عثمان شديد العطف على ذوي قرباه، وقد بالغ في هذا العطف مبالغة كان لها من بعد حياته وحياة الدولة أبعد الأثر)(١١٥).

٢– ويقول الدكتور: محمد جمال الدين:(ولي عثمان الخلافة سنة ٢٤ هـ، ولم يكن لديه القوة التي يقتضيها وجوده بعد عمر، فأدى ذلك إلى أنه صار طوعاً لإدارة أهل بيته، فأسند إلى كثير منهم إدارة شئون الأمصار الإسلامية) (١١٦).

٣– ويقول الدكتور الطيب النجار: (وعلى الرغم من المزايا الخلقية الكثيرة لعثمان، فإن قبضته على شئون الدولة كانت ضعيفة، فقد أطلق العنان لأقاربه، وأهمل رقابتهم وهؤلاء أساءوا إلى الناس وأرهقوهم) (١١٧).

٤– وها هو الأستاذ محمد أبو زهرة– وهو رجل محقق – قد حذا حذوهم في هذا الأمر، فقد قال: (ولى عثمان أقاربه، وكان يستشيرهم في كثير من شئون الدولة، وفيهم من ليس أهلاً للثقة) (١١٨).

ومما لاشك فيه أن مثل هذا الكلام في حق الخليفة الثالث يرسم صورة سيئة توحي بالمحاباة والضعف، وهو أنزه وأبعد ما يكون من ذلك.

ولهذا ذكر ابن كثر: (أن عثمان كان يلزم عماله حضور الموسم كل عام، ويكتب إلى الرعية: من كانت له عند أحد من العمال مظلمة، فليواف الموسم، فإني آخذ له حقه من عامله) (١١٩).

وليس من حرج على عثمان إذ ولى أقاربه، وقد توسم فيهم الكفاءة والإخلاص، فعلى يد من ولاهم عثمان من بني أمية تم الكثير من الفتوحات الإسلامية(١٢٠)فهم ليسوا أقل من غيرهم – حينئذ – إخلاصاً للدعوة والجهاد وما ينفع الأمة.

وعندما ندفع مثل هذه الافتراءات المنسوبة لسيدنا عثمان – رضي الله عنه- فإنا لا ندفع عنه شيئاً يضره، وقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((... ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم)) (١٢١). وإنما نفصد من ذلك أموراً منها:

١- كشف الزيف عن وجه التاريخ، فذلك جزء عظيم من مهمة الداعية.

٢- إثبات أن الموالي قد تمتعوا بكافة الحقوق والحريات، في عصر الخلافة الراشدة.

٣- إذا ثبت ما مضى من حسن سياسة عثمان، فلنا أن نعلم أن الناس فرحوا به لأنه عدل عن سياسة عمر في العطاء، ورجع إلى سياسة أبي بكر فسوى بين الناس جميعا في الأعطيات، بما في ذلك العرب والموالي كما سجلوا في دواوين عمر.

ثالثا: في عهد على – رضي الله عنه–:

لما آلت الخلافة إلى علي – رضي الله عنه – كانت سماء الدولة الإسلامية ملبدة بغيوم الفتنة التى بدأت بمقتل عثمان – رضي الله عنه – والذي يهمنا في هذا الموطن هو ان نقف على وضع الموالي في وسط هذه الفتن العاصفة.

لقد كان الإمام علي- رضي الله عنه – على الرغم من الوقت والجهد الذي استغرقه في مواجهة هذه الفتن، إلا أنه لم يهمل تدبير شئون الدولة.

ففي العطاء كان يرى رأي ابي بكر – رضي الله عنه – وهو التسوية بين الناس جميعاً في العطاء.

ولقد كان بإمكان الإمام على وهو يعيش صراعاً يقسم معسكر المسلمين إلى فريقين، أن يغير سياسة أبي بكر في التسوية في العطاء، فيفضل من شاء ليستميلهم في صفه، حتى أن جماعة من العرب سألوا علياً فقالوا: يا أمير المؤمنين: أعط هذه الأموال، وفضل هؤلاء الأشراف من العرب، على الموالي والعجم، فقال لهم: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور(١٢٢).

ولأن يرى الإمام على أن تفضيل العرب على الموالي ظلماً وجوراً، لهو خير شاهد على تجاه سياسته نحو الرفق والمساواة بالرعية، ولقد كان يكتب إلى عماله ويقول:

(أنصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم، ولا تحسموا أحداً عن حاجته، ولا تحبسوه عن طلبته) (١٢٣).

ومن هنا اقترب الموالى من علي – رضي الله عنه- لما لمسوا من جانبه العدل والرفق والإنصاف، حتى قال العقاد: (وقد كان أنصار الإمام من الفرس والمغاربة والمصريين أكثر من أنصاره من قريش) (١٢٤)

ونحن نتحدث عن الموالي في عهد الخلفاء الراشدين، فلا بد أن نعلم أن أنهم كانوا قد اتخذوا ما يشبه المدارس اليوم لتعليم الدعوى إلى الله وأصولها من قرآن وسنة وتفسيرهما، وربما لم تكن تلك المدارس منظمة بشكل جيد، وذلك لبساطة المجتمع وقلة الإمكانيات، إلا أن هؤلاء الموالي كانوا ينفذون المبدأ القرآني في نشر العلم والدعوة إلى الله، وتفقيه الناس، وإعداد طائفة من الدعاة، للقيام بمثل هذه المهمة، امتثالاً لقول الله تعالى: (فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) [التوبة:١٢٢]

مع العلم أن إعداد الدعاة كان أكثر وضوحاً في عهد الخليفتين عمر وعثمان. رضي الله عنهما – أما الخليفة الأول فقد واجه مشكلة الردة وانتفاض قبائل العرب عن الإسلام، فكان مشغولاً بتوطيد أركان الدولة، والحفاظ على سلطانها وهيبتها ، فربما لم يكن في الإمكان الاهتمام بهذا العمل، مع أنه لا يمكن أن تخلو أيامه من هذا العمل. (١٢٥)

ففي عهد عمر يقول: توماس أرنولد:

(وقد أمد الخليفة هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام حديثاً بما ينبغى أن يمدهم به من علماء يلقنونهم مبادئ الدين، لأنه لما كانت هذه القبائل بأجمعها تدخل في الإسلام بمثل هذه السرعة كان من الضروري أن يأخذا الحيطة والحذر أتقاء ما يحدث من أخطار، سواء من ناحية العقيدة أو الشعائر الدينية، وكان من الطبيعى أن تكون هذه الأخطار مصدر خوف إذا ما ترك هؤلاء الذين دخلوا في الإسلام لا يعرفون تعاليم هذا الدين معرفة صحيحة) . (١٢٦)

ومن هنا ندرك لماذا منع عمر – رضي الله عنه – كبار الصحابة من الخروج إلى الأمصار، وذلك ليعكفوا على هذه المهمة، بما لهم من كثرة الأخذ والفقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يوزع الدعاة- المتخرجون على أيدى الصحابة- في الأمصار.

ولذلك يقول أرنولد: (ومن هنا نرى الخليفة عمر يعين في كل بلد معلمين مهمتهم أن يعلموا الناس القرآن ويفقهنهم في الدين) . (١٢٧)

ولما جاء عثمان – رضي الله عنه – وسع نطاق مدارس الدعوة خارج المدينة، وذلك بالسماح لكبار الصحابة بالخروج إلى الأمصار.

وعند النظر في كتب طبقات العلماء، وتراجم الرجال، نجد أن كثيراً من علماء الموالي قد تعلموا وأعدوا في عصر الخلفاء الراشدين، ثم أثمرت جهودهم بعد ذلك ، ومن هؤلاء: نافع مولى ابن عمر، وعكرمة مولى ابن

عباس، ومجاهد بن جبر، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وعطاء ابن رباح، وطاووس بن كيسان، وسليمان بن يسار، ومكحول الدمشقي، والأوزاعي، وغيرهم كثير، الذين كانوا من كبار علماء الموالي، الذين سنعرض لبعض جهودهم بالتفصيل في هذا البحث.

الفصل الثالث

الموالي والتفسير

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حاجة الناس إلى التفسير

يعد عصر الصحابة بداية عصر التدوين، إذ لم يدون التفسير في عصر الصحابة، وقد ظهر ذلك في كتابات سعيد بن جبير، كما كان مجاهد يسأل ابن عباس، ومعه ألواحه، فيقول ابن عباس: أكتب، حتى سأله عن التفسير كله، وكذلك كان السدى قد جمع التفسير، ورواه عنه أسباط بن نصر.

ولم يقتصر الأمر على تدوين التفسير بل دونت كثير من العلوم التي لها تعلق بالتفسير، واعتمد هذا التدوين على أقوال التابعين، وآرائهم في التفسير. (١٢٨) وخاصة علماء الموالي كما سنرى، إن شاء الله.

ولو لم يكن للموالي إلا سبقهم إلى تدوين التفسير لكفاهم، ويقال أن أول من دون التفسير كاملاً، أبو زكريا بن زياد الفراء، مولى بني منقر. (١٢٩)

والدليل على ذلك: ما ذكره ابن النديم قال: قال أبو العباس ثعلب:كان السبب في إملاء كتاب الفراء في المعاني، أن عمر بن بكير كان من أصحابه، وكان منقطعاً إلى الحسن بن سهل، فكتب إلى الفراء: إن الأمير الحسن بن سهل، ربما سألني عن الشيء بعد الشيء من القرآن، فلا يحضرني فيه جواب، فإن رأيت أن تجمع لي أصولاً، أو تكتب إلي كتاباً في ذلك أرجع إليه فعلت، فقال الفراء لأصحابه يوماً اجتمعوا حتى أملي عليكم كتاباً في القرآن، وجعل لهم يوماً، فلما حضروا خرج إليهم، وكان في المسجد رجل يؤذن ويقرا بالناس في الصلاة،

فالتفت إليه الفراء وقال: اقرأ بفاتحة الكتاب نفسرها، ثم نوفي الكتاب كله، فقرأ الرجل وفسر الفراء، قال أبو العباس: لم أجد قبله مثله، ولا أحسب أحداً يزيد عليه. (١٣٠)

ويذكر ابن حجر في التهذيب: أن عبد الملك بن مروان كتب إلى سعيد ابن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن، فكتب إليه سعيد، فوجده عطاء بن دينار في الديوان، فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير) . (١٣١)

ويذكر ابن خلكان: أن عمرو بن عبيد تلميذ الحسن البصري- قد كتب تفسيراً للقرآن عن شيخه الحسن). (١٣٢)

وأيما كان السابق من هؤلاء- مجاهد أو سعيد أو عمرو أو حتى عطاء أو غيرهم، فإنه سبق للموالي يشكرون عليه، ويحسب لهم في تاريخ العلم، وتاريخ القرآن، وتاريخ الدعوة، والتفسير على وجه الخصوص.

وهذا السبق من الموالي يدل دلالة واضحة على حاجة الناس إلى تفسير كلام الله عز وجل، ذلك أن القرآن هو معجزة الله الخالدة، وهو دستور المسلمين الشامل، الذي ينير لهم الطريق، ولهذا عني به المسلمون منذ تلقاه الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم من أمين الوحي.

ولما نزل القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم كان (بلسان عربي مبين) ولكن كان هناك من الألفاظ فصاحة ما يفهمه أصحاب اللسان العربي، وبعض الألفاظ لا يعرفونها ، وذلك للأعجاز، فكان الصحابة يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يشكل عليهم من معاني القرآن، فيبين لهم، لأن وظيفته صلى الله عليه وسلم هى بيان القرآن، كما قال الله عز وجل: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [النحل:٤٤]والأمثلة على ذلك كثيرة.

فقد أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: لما نزلت (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ) [الأنعام:٨٢] شق ذلك على الناس، فقالوا يا رسول الله: وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا إلى ما قال العبد الصالح: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) [لقمان:١٣] إنما هو الشرك(١٣٣)

وروى البخارى – أيضاً – بسنده عن ابى حاتم بن عدي قال : لما نزل: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ) [البقرة:١٨٧] قلت يا رسول الله ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ أهما الخيطان؟ قال: ((إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطيين، ثم قال، لا، بل هم سواد الليل وبياض النهار)) (١٣٤).

وروى مسلم وغيره عن عقبه بن عامر- رضي الله عنه – قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) [الأنفال:٦] ألا وإن القوة الرمي(١٣٥).

من هذه النصوص، يتبين لنا حاجة الناس إلى التفسير من اللحظات الأولى لنزول الوحي، فقد كانوا إذا أشكل عليهم شئ سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فيجبيه على ذلك أوضح الإجابة، ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم كان الصحابة –رضي الله عنهم- يبحثون عن التفسير في القرآن الكريم، لأن أفضل ما يسفر به كلام الله، كلامه نفسه، فإن لم يجدوا في القرآن، بحثوا في السنة، فإن لم يجدوا في السنة، اجتهدوا، وقد كانوا أهلاً لذلك، لأنهم عرب خلص شاهدوا التنزيل، وحضروا مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن نزل بلسان عربي مبين، وهذا فيما يحتاج إلى اجتهاد وإعمال ذهن، لأنهم قد توافرت عندهم أدوات الاجتهاد(١٣٦).

والصحابة – رضي الله عنهم- لم يكونوا على درجة واحدة بالنسبة لفهم معاني القرآن، بل تفاوتت مراتبهم في ذلك، وأشكل على بعضهم ما ظهر للبعض الآخر، وهذا يرجع إلى تفاوتهم في القوة العقلية، ومعرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا أنهم كانوا لا يتساوون في معرفة المعاني التي وضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفي على بعض الصحابة، ولا ضير في هذا ، فإن مفردات اللغة لا يحيط بها إلا معصوم، ولم يدع أحد أن كل فرد من أمة يعرف جميع ألفاظ لغتها(١٣٧).

يقول السيوطي عن حاجة الناس إلى التفسير، بعد أن عرض بعض استفسارات الصحابة من المعاني والأحكام : (ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه وزيادة على ذلك مما لم يكونوا يحتاجون إليه من أحكام الظواهر، لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن اشد احتياجاً إلى التفسير) (١٣٨).

وإذا كان السيوطي يقول عن نفسه وأهل عصره هذا الكلام، فنحن الآن أشد احتياجا إلى التفسير ممن سبق، وذلك لبعد الناس عن معرفة ما هو من الدين بالضرورة، ولبعدهم عن معرفة العربية التي هي أساس علم التفسير، فواجب على من أراد معرفة علم التفسير أن يتعلم العربية، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

والقرآن هو أهم كنوز هذه الأمة، وذخيرة دعوتها، وهو كنز معنوي وليس كنزاً حسياً ولابد للكنز من مفتاح، وتفسير القرآن وإيضاح مقاصده هو مفتاح هذا الكنز العظيم، وبغيره لن نستطيع الاستفادة من تلك الذخائر، مهما أكثرنا من الحفظ والتلاوة، لأن العبرة بالتطبيق والعمل، ومن هنا ندرك سر تأخر المسلمين في هذا العصر، على الرغم من وفرة الحفاظ، بينما نجح أسلافنا نجاحاً- كان ولا يزال – محل إعجاب التأريخ والمؤرخين- على مر العصور – وذلك عندما كرسوا الجهود لفهم القرآن ومعرفة مقاصده، واستخراج حكمه وأحكامه(١٣٩).

المبحث الثانى

مفسرو الموالي من التابعين

يعتبر المفسرون من الموالي في عصر التابعين، من أكثر المفسرين، ومن أبرزهم، ومن أكثرهم رواية للتفسير، وتعرضهم له بالبيان والشرح والتوضيح، وقد كثرت مدارس التفسير في هذه المرحلة وتنوعت وبرز في كل مدرسة كثير من التابعين، وفي بحثي هذا سأذكر من كل مدرسة أشهر من برز من الموالي في هذا المجال، حتى يكون نموذجاً لتلك المدرسة، ومثالاً لها في بعض الجوانب التي تميزت بها تلك المدرسة عن غيرها، فنحن نعلم جميعاً أن لكل مدرسة من المدارس التي نشأت في عصر التابعين منهجاً وخاصية تميزت بها تلك المدرسة عن غيرها من المدارس الأخرى، إما بسبب القائم عليها من الصحابة، وبروزه في جانب من الجوانب، أو بسبب المكان الذي نشأت فيه تلك المدرسة، وما أحاط بذلك من أمور أدت إلى تميزها عن غيرها.

فمثلاً: تميزت مدرسة مكة عن غيرها من المدارس الأخرى، بكثرة الاجتهاد والاستنباط، وخاصة في مسائل الحج، والعمرة، وذلك بسبب المكان، ولكثرة من يأتيه من الحجاج والمعتمرين من أنحاء المعمورة.

بينما تميزت مدرسة المدينة بالحديث النبوي والمغازي والسير، والقراءات وقلة التفسير، هيبة وورعاً فيه.

وتميزت مدرسة الكوفة بتفسير آيات الأحكام، والقراءات، وقلة الإسرائيليات.

وتميزت مدرسة البصرة بالجوانب اللغوية والوعظية في التفسير، وكذلك برزت في الاهتمام بالسنة في مجال التفسير ، واجتناب الإسرائيليات في ذلك.

وبعد هذا العرض المختصر والموجز، سأذكر أشهر رجال التفسير من الموالي في عصر التابعين في هذه المدارس، مع عرض مختصر وموجز عن سيرة هؤلاء المشاهير، وبيان الجوانب التفسيرية، والمنهجية التى تميزوا بها عن غيرهم، مبتدئاً بمدرسة مكة لشرف المكان، ثم المدينة، ثم البصرة، بإذن الله عز وجل.

أولا: أشهر مفسري التابعين من الموالي في المدرسة المكية:

١- مجاهد بن جبر: لمحة موجزة عن حياته:

اسمه وكنيته:

هو مجاهد بن جبر- وقيل جبير- المكي القرشي، الأسود، المخزومي بالولاء. مولى السائب بن أبي السائب، المخزومي. (١٤٠).

مولده:

ولد مجاهد بمكة يوم(٢١) هـ في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. (١٤١).

ولاؤه وموطنه:

اختلف في ولائه، فقيل: مولى السائب بن أبي السائب، المخزومي، وهو اختيار الذهبي. (١٤٢).

وقيل: مولى عبد الله بن السائب، وهو رأي الإمام أحمد، وقيل: مولى قيس ابن السائب ابن عويمر بن عمران بن مخزوم. (١٤٣).

وفاته: توفي مجاهد في مكة وهو ساجد، واختلف في سنة وفاته على أقوال عدة، ولكن أرجحها سنة مائة وثلاث ، وكان عمره بضع وثمانون سنة(١٤٤).

صفاته وأخلاقه:

كان- رحمه الله- كثير الغم، والهم، والحزن، قال الأعمش:

كنت إذا رأيت مجاهداً تراه مغموماً، فقيل له في ذلك، فقال: أخذ عبد الله – يعنى ابن عمر –بيدي، ثم قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، بيدي وقال :((يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل)) (١٤٥).

وقال الأعمش أيضا:

كنت إذا رأيت مجاهداً، ازدريته، متبذلاً، كأنه خربندج(١٤٦) ضل حماره وهو مهتم(١٤٧).

وعنه قال: كان مجاهد كأنه حمال، فإذا نطق خرج من فيه اللؤلؤ(١٤٨).

وعن ليث(١٤٩) عن مجاهد قال: من أعز نفسه أذل دينه، ومن أذل نفسه أعز دينه(١٥٠).

وعنه أيضاً عن مجاهد قال: إن العبد إذا أقبل على الله تعالى بقلبه، أقبل عز وجل بقلوب المؤمنين إليه(١٥١).

وعنه أيضا عن مجاهد قال: إن المسلم لو لم يصب من أخيه إلا أن حياءه يمنعه من المعاصي لكفاه.(١٥٢)

ومن المأثورات التى تنم عن خشيته لله وخوفه من الله أنه كان يقول: الفقيه من يخاف الله، وإن قل علمه، والجاهل من عصى الله وإن كثر علمه. (١٥٣)

وكان مجاهد يرى أنه لا حد للإنفاق في طاعة الله، فقد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: وجدت في كتاب محمد بن أبي حاتم بخط يده، حدثنا الحارث، حدثنا يحي بن يمان، عن عثمان بن الأسود عن مجاهد، قال: لو أن رجلاً أنفق مثل أحد في طاعة الله عز وجل، لم يكن من المسرفين(١٥٤).

وعند تفسيره لقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً (٦٧))[١٥٥]. قال: لو أنفقت مثل جبل أبي قبيس ذهباً في طاعة الله ما كان سرفاً، ولو أنفقت صاعاً في معصيه الله، كان سرفاً[١٥٦].

وكان- رحمه الله- رفيع الشأن بين أصحابه، وكانوا يجلونه ويخدمونه، فقد قال مجاهد: كنت أصحب ابن عمر في السفر، فإذا أردت أن أركب أمسك ركابي، فإذا ركبت سوى علي ثيابي، فرآني مرة كأني كرهت ذلك، فقال: يا مجاهد: إنك لضيق الخلق، وفي رواية صحبت ابن عمر وأنا أريد أن أخدمه، فكان يخدمني[١٥٧].

وكان لا يتختم، ولا يخضب شعره، وكان يكره الخضاب السواد[١٥٨].

مكانته بين أصحاب ابن عباس، وتأثره بمنهج شيخه، وكان مجاهد من أكثر تلاميذ ابن عباس أخذاً عنه، مع أنه من أقلهم رواية عنه في التفسير.

فعن الفضل بن ميمون[١٥٩]: قال: سمعت مجاهداً يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة[١٦٠].

وعن أبان بن صالح[١٦١] عن مجاهد قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أوقفه عند كل آية أسأله فيما نزلت، وكيف نزلت[١٦٢].

ثناء العلماء عليه:

وقد اثنى كثير من الأئمة والعلماء من الصحابة والتابعين على الإمام مجاهد – رحمه الله- ومن هؤلاء عبد الله بن عمر- رضي الله عنه- حيث قال:

وددت لو أن ابني سالماً، وغلامي نافعاً يحفظان حفظك.

وقال مرة: وددت لو أن نافعاً حفظ حفظك[١٦٣].

وقال سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به[١٦٤].

وقال قتادة: أعلم من بقي بالتفسير مجاهد[١٦٥].

وقد اعتبره كثير من المحققين أنه أول من دون التفسير، فقد قال هو عن نفسه: استفرغ علمي التفسير[١٦٦].

وروى يحيى ابن معين بسنده قال: رأيتهم يكتبون التفسير عن مجاهد[١٦٧].

وروى ابن جرير عن ابن أبي مليكة[١٦٨] قال: رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن التفسير ومعه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله[١٦٩].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إنه آية في التفسير[١٧٠].

وقال الإمام الذهبي: مجاهد شيخ القراء والمفسرين[١٧١].

وقال خصيف[١٧٢]: كان أعلمهم بالتفسير مجاهد، وبالحج عطاء[١٧٣].

خصائص تفسيره:

إن للتكوين الشخصي، والمدرك العقلي، والبيئة المكانية، والزمانية، والمدرسة التي حصل منها التلقي، أثراً كبيراً على المنهج العلمي، لأي شخص في أي فن من الفنون، يضاف إلى ذلك أن اختلاف المدارس والأشخاص، يكون لهم الأثر البارز في شخص ذلك العالم، سواء كان مفسراً أو غيره.

وإن من المعالم البارزة في تفسير مجاهد– رحمه الله– التي أكسبته شخصية متميزة عن غيره من المفسرين– من الموالي — والتي ربما خالف فيها غيره من المفسرين، وأبعد النجعه فيها عن الظاهر من النص، ما يلي:

أولا: توسعه في باب النظر، والاجتهاد:

وهذا مما جعل بعض النقاد ، يعده من أوائل من استخدم العقل في تفسير القرآن الكريم، وقد أدى به سلوك هذا السبيل إلى تأويل آيات على غير ظاهر السياق، بل قد جاء في بعضها بما يستغرب، ويستنكر، فمن ذلك:

١– تأويله للمسخ الواقع على اليهود:

من التأويل الذي خالف فيه الظاهر من السياق، ولم يقل به غيره، ما روي عنه في تفسير قوله تعالى:

(فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) [١٧٤] قال: مسخت قلوبهم، ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه الله لهم، كمثل الحمار يحمل أسفاراً[١٧٥]

قال ابن جرير بعد أن ذكر قول مجاهد السابق: وهذا القول الذي قاله مجاهد، قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف، ثم ذكر أنه لا دليل عليه، وختم بقوله: هذا مع خلاف قول مجاهد جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه، وكفي دليلاً علي فساد قول، إجماعها على تخطئته[١٧٦]

٢- تأويله لمعنى المائدة المنزلة على عيسى:

ومن الأمثلة كذلك على التأويلات البعيدة لمجاهد، ما ورد عنه في تأويل قوله تعالى: (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنْ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ) [١٧٧] فقد قال – رحمه الله-: مثل ضرب، لم ينزل عليهم شئ؟[١٧٨]

وفي رواية أخرى قال: مائدة عليها طعام، أبوها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا، فأبوا أن تنزل عليهم[١٧٩].

ففي هذا المثال كما ترى قد خالف فيه الجمهور، وخالف فيه الظاهر من النص القرآني.

وقد اعتذر ابن كثير لمجاهد بقوله: وقد يتقوى ذلك بأن خبر المائدة لا تعرفه النصارى، وليس في كتابهم، ولو كانت قد نزلت لكان ذلك مما تتوفر الدواعى على نقله، وكان يكون موجوداً في كتابهم متواتراً، ولا أقل من الآحاد والله أعلم. ولكن الذي عليه ا لجمهور أنها نزلت، وهو الذى اختاره ابن جرير وقال: لأنه تعالى أخبر بنزولها بقوله: (إِنِّي مُنَزِّلُهَا)، وقال: ووعد الله ووعيده حق وصدق[١٨٠]

٣- تأويلة لمعنى الورود على النار:

وهذه من الانفرادات التى تفرد بها مجاهد- رحمه الله-، فقد قال في تفسير قوله تعالى: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) [١٨١] قال: الحمى حظ كل مؤمن من النار[١٨٢]

ولعله قال بهذا استناداً إلى ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضاً من وعك أصابه، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ((أبشر فإن الله تبارك وتعالى يقول: هي نارى أسلطها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار)) (١٨٣)

واستنادا بما ورد في الحديث ((الحمى حظ المؤمن من النار)) (١٨٤)

٤- تأويله لمعنى قوله تعالى:

(ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً) (١٨٥) قال مجاهد: ثم اجعلهن أجزاء على كل جبل، ثم ادعهن يأتينك سعياً، كذلك يحيي الله الموتى هو مثل ضربه الله لإبراهيم (١٨٦) ولم يقبل بهذا غيره من المفسرين.

ثانيا: الدقة في التفريق بين الكلمات المتشابهة:

مما تميز به تفسير مجاهد، الدقة في اختيار الكلمات لتفسير الآيات، فقد كان من أكثر التابعين في التفريق بين الكلمات المتشابهة، وكان ينبه على تلك الكلمات، ويبين ويوضح الفروق بينها.

ومن ذلك ما جاء عنه عند قوله تعالى: (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ) (١٨٧) حيث يقول: ليس بالسحاب، هو الغمام الذى يأتي الله فيه يوم القيامة، لم يكن إلا لهم.(١٨٨)

وعند قوله تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ) (١٨٩) قيل لمجاهد:الشفق، قال: لا، إن الشفق من الشمس، لكن قل: حمرة الأفق(١٩٠).

وعند قوله تعالى: (وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ) (١٩١)، قال: الصدع: مثل المأزم، غير الأودية، وغير الجرف(١٩٢).

وهكذا نجد أن مجاهداً يفرق بين الألفاظ المتشابهة والمتقاربة في المعني، وهذا يدل على قدرته العلمية واللغوية، التي امتاز بها عن غيره من المفسرين.

ثالثا: تفسير بعض الألفاظ بما يخالف المعنى القريب:

لقد أعطى مجاهد نفسه مساحة واسعة في تفسير بعض الألفاظ، ونتيجة لهذا التوسع، فقد كان يصرف بعض الألفاظ عن معناها القريب، ويؤلها تأويلاً بعيداً عن المعنى الظاهر المتبادر من اللفظ.

ومن أمثلة ذلك: ما جاء عنه عند تفسير قوله تعالى: (وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ) [١٩٣] قال: الوزن القضاء[١٩٤].

ومن ذلك أيضا ما جاء عنه عند قوله تعالى: (يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا) [١٩٥] حيث فسر اللباس بالتقوى[١٩٦].

وعند قوله تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) [١٩٧] قال: هو محكم القرآن[١٩٨].

وعند قوله تعالى: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى) [١٩٩]، قال:نجوم القرآن[٢٠٠] وفي رواية قال: القرآن إذا نزل[٢٠١]

وهكذا نجد أن مجاهداً ينفرد ببعض الأقوال التي لم يوافقه فيها أحد، وإن كان أحياناً نجد له قولين في تفسير الآية، ويكون التفسير الآخر موافقاً لأقوال المفسرين، وهذا مما يعتذر به لمجاهد- رحمه الله-

رابعا: اهتمامه بالمبهمات:

يعتبر مجاهد من متقدمي التابعين في تتبع المبهم، والحرص على بيانه، والناظر في كتب التفسير، وعلوم القرآن، يجد شاهداً لذلك، وقد حرص على بيان نوع المبهم في مواضع كثيرة في تفسيره لبعض الآيات التى اشتملت على هذه المبهمات، مع الأخذ في الاعتبار أن هذا التفسير قد يكون مقبولاً، وقد يكون غريباً كباقى الأقوال التى سبق التمثيل لها.

ومن ذلك: تبيين نوع الشجرة في قوله تعالى: (وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ) [٢٠٢] حيث ذكر بأنها التينة[٢٠٣]

وبين المبهم في قوله تعالى: (فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا) [٢٠٤]، فقد ذكر أنه الذي بين الكتفين[٢٠٥]

وبين المبهم في قوله تعالى: (فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ) [٢٠٦]، حيث قال: إنه الديك، والطاووس، والغراب، والحمام، وهذا كله من الإسرائيليات[٢٠٧].

ومن حرصه على الاهتمام بالمبهم بيانه لبعض الأسماء المبهمة في بعض الآيات، كما في قوله تعالى: (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ) (٢٠٨) ذكر مجاهد أن منهم الحارث بن سويد الأنصاري(٢٠٩).

وغيرها من الأمثلة وهي كثيرة.

٢- سعيد بن جبير: اسمه ونسبه:

هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، مولى بنى والبة، أبو عبد الله(٢١٠).

وقد اختلفت عبارات أهل العلم في نسبته المكانية، فمنهم من نسبه إلى الكوفة، وهم الأكثرون، كابن سعد في الطبقات(٢١١)، وابن معين في التاريخ(٢١٢)، والعجلي في الثقات(٢١٣)، والشيرازي في طبقات الفقهاء(٢١٤)، وغيرهم.

وذهب آخرون إلى عده مكياً، ومنهم خليفة بن خياط في تاريخه(٢١٥)، وابن عبد البر في العقد الثمين(٢١٦)، وابن كثير في البدايه والنهاية(٢١٧).

ثناء العلماء عليه:

قال شيخه ابن عباس- رضي الله عنه-: يا أهل الكوفة تسألوني وفيكم سعيد ابن جبير[٢١٨].

وقال ابن عمر لما سأله رجل عن فريضة، فقال له:ائت سعيد بن جبير، فإنه أعلم بالحساب مني، وهو يفرض منها ما أفرض[٢١٩].

وعن مجاهد قال: قال ابن عباس لسعيد: حدث قال:أحدث وأنت هاهنا؟! قال: أو ليس من نعمة الله عليك أن تحدث وأنا شاهد، فإن أصبت فذاك، وإن أخطأت، علمتك[٢٢٠].

وقال ميمون بن مهران[٢٢١]:مات سعيد بن جبير وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه[٢٢٢].

مولده ووفاته: ولد في خلافة على ابن ابى طالب- رضي الله عنه- وتوفي- رحمه الله- مقتولاً سنة (٩٥)، وكان عمره (٥٧)عاماً[٢٢٣].

تأثره بمنهج شيخه، وكثرة روايته عنه:

كان سعيد بن جبير من أكثر مفسري التابعين اهتماماً ونقلاً عن ابن عباس – رضى الله عنهما- وقد لاحظ ابن عباس هذا الاهتمام والتوجه، فكان يوصيه بقوله: انظر كيف تحدث عني، فإنك قد حفظت عني حديثاً كثيراً[٢٢٤].

قال الذهبي: روى عن ابن عباس فأكثر وجود[٢٢٥].

واعتبره ابن كثير من أكابر أصحاب ابن عباس[٢٢٦].

وكان – رحمه الله- من أكثر تلاميذ ابن عباس دقه، وتحرياً في نقله عن شيخه، يقول على ابن المدينى: وأصحاب ابن عباس، الذين يذهبون مذهبه، ويسلكون طريقه، عطاء، وطاووس، ومجاهد، وجابر بن زيد، وعكرمة، وسعيد، وأعلم هؤلاء سعيد بن جبير، وأثبتهم فيه[٢٢٧].

وقد أحب سعيد شيخه، حباً شديداً، فكان يقول: إن كان ابن عباس ليحدثني الحديث، فلو يأذن لي أن أقبل رأسه لفعلت[٢٢٨].

وكان يحرص على تدوين كل ما يسمعه من شيخه، فعن أبي الحصين[٢٢٩]، قال: سألت سعيد بن جبير، قلت: أكل ما أسمعك تحدث سألت عنه ابن عباس؟ فقال: لا، كنت أجلس ولا أتكلم حتى أقوم، فيتحدثون فأحفظ[٢٣٠].

وقد بغلت عنايته بالكتابة عن ابن عباس أن كتب عنه ودون علمه، فعن سعيد: أنه كان يسأل ابن عباس قبل أن يعمى، فلم يستطع أن يكتب معه، فلما عمي ابن عباس كتب، فبلغ ذلك ابن عباس، فغضب[٢٣١].

بل بلغ من اهتمامه بالكتابة عن شيخه، أنه كان يقول: ربما أتيت ابن عباس، فكتبت في صحيفتي حتى أملأها، وكتبت في نعلي حتى أملأها، وكتبت في كفي[٢٣٢].

ومع أنه عاش في الكوفة إلا أنه كان كثير التردد، والترحال إلى مكة، يقول:هلال بن خباب[٢٣٣]: خرجت مع سعيد بن جبير في أيام مضين من رجب، فأحرم من الكوفة بعمرة، ثم رجع من عمرته، ثم أحرم بالحج في النصف من ذي القعدة، وكان يخرج كل سنة مرتين: مرة للحج، ومرة للعمرة[٢٣٤]، وكل ذلك من أجل الحج والعمرة، ومن أجل أن يلتقي بشيخه- رضي الله عنه-.

وبلغ به الحرص على أن يلتقى بابن عباس أنه كان يرحل إليه في المسألة الواحدة، فقد قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت فيها إلى ابن عباس، فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً [٢٣٥]، آخر ما نزل، وما نسخها شيء[٢٣٦].

تأثره بالمنهج المكي في التفسير:

كان ابن جبير كثير التأثر بالمنهج المكي في التفسير، ومن الأدلة على ذلك ما نجده من التقارب، والتطابق في المنهج بين ابن جبير، والتابعين من أصحاب المدرسة المكية، ويتضح هذا التقارب، والتوافق في العديد من الجوانب التفسيرية، والتي منها:

١- نقله للقراءات القرآنية: اهتم بقراءة ابن عباس، وبما روي عنه من توضيح للمعنى، وقال بقول ابن عباس وتلاميذه في أكثرها.

٢- في الجانب الفقهي الذي قد يظن فيه تأثره بمدرسة الرأي في الكوفة، فإن الواقع كان غير هذا، فقد وجد أنه يميل في تأويل آيات الأحكام في جملة كبيرة من تفسيره إلى قول ابن عباس(٢٣٧).

هذه بعض أوجه الشبه، والتقارب بين ابن جبير والمدرسة المكية، ومن خلال هذا التشابه والتقارب، فإنه يقطع بأنه كان مكي المنهج، والمسلك.

وبعد هذا الاستعراض المجمل يحسن بنا تفصيل المقال، مع الإفاضة في إيضاح أبرز المعالم المنهجية في تفسيره.

١– تقدمه في معرفة القراءة:

وقد عرفنا سابقاً أنه قرأ على ابن عباس– رضي الله عنهما– ويعتبر من المتقدمين في القراءة، فعن ابي بكر بن أبي داود[٢٣٨] قال: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير، ثم السدي، ثم سفيان الثوري[٢٣٩].

وقال إسماعيل بن عبد الملك[٢٤٠]: كان سعيد يؤمنا في رمضان، فيقرأ ليلة بقراءة ابن مسعود، وليلة بقراءة زيد[٢٤١].

والمتأمل فيما روي عنه من قراءة في التفسير يجد أن غالبه جاء في بيان معنى الآية، وإيضاح تأوليها. وكانت عنايته بهذا أكثر من عنايته بتصحيح نطقها.

وعلى الرغم من أنه كان يقرأ بقراءة زيد، وابن معسود، إلا أن تأثره بقراءة ابن مسعود كان قليلاً، ومال إلى ترجيح معاني كثير من الآيات بما ورد من قراءة عن ابن عباس.

ويلاحظ من خلال النظر، والتتبع لما ورد عنه من قراءات، أنه قل أن يسندها لأحد، إنما تروى على أنها من قراءته.

ومن ذلك ما جاء عنه عند قوله تبارك وتعالى: (وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ)[٢٤٢]، فقد قرأ سعيد: ((دارست)) وقال: قارأت[٢٤٣].

ومن ذلك أيضا ما ورد عنه عند قوله تعالى: (وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ)[٢٤٤]، قرأ سعيد : ((حتى يلج الجمل)) بضم الجيم وتشديد الميم، وقال بعد أن قرأ ذلك: الجمل: يعنى: قلوس السفن، أي: الحبل الغلاظ[٢٤٥].

٢– الاهتمام بتفسير آيات الأحكام والإكثار من ذلك:

لعل وجوده في الكوفة كان من الأسباب التي أظهرت هذا الاهتمام، حتى تميز بين مفسري مكة بهذا الجانب، وما يلاحظه الناظر في تفسيره، يجد أنه يميل إلى ترجيح واختيار أقوال ابن عباس، وكان يميل إلى مذهب المكيين، أكثر من ميله إلى قول الكوفيين، مع أنه عاش في الكوفة(٢٤٦).

وقد تقدم في هذا الجانب حتى أصبح من أعلم تلاميذ ابن عباس، وكان بعضهم يرجع إلى عن قوله إلى قول سعيد، ومن ذلك:

ما ورد عند قوله تعالى: (أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) (٢٤٧)

قال سعيد:

هو الزوج، وقال مجاهد، وطاووس: هو الولي، فقال له أبو بشر:إن مجاهداً وطاووساً يقولان: هو الولي؟ فقال سعيد: أرأيت إن عفا الولي وأبت المرأة، أكان يجوز ذلك؟فرجعت إليهما،فحدثتهما، فرجعا عن قولهما، وتابعا سعيداً(٢٤٨)

وقد كان هو المقدم حتى في الكوفة، فقد كان ابن عباس بعدما ذهب بصره، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء.يعني سعيداً(٢٤٩).

وقال ميمون بن مهران: لقد مات سعيد، وما على الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه، ولذلك كان في زمانه جهبذ العلماء.

فقد كان ابن عمر إذا سئل عن الفرائض، يحيل السائل على سعيد.

وكان إبراهيم النخعي يقول بعد وفاة سعيد: ما خلف سعيد بعده مثله(٢٥٠)

٣-تساهله في الرواية عن بني إسرائيل:

كان من أكثر مفسري مكة توسعاً في ذلك، وكان محباً للقصص، والتحديث بالأخبار، وقد أفضى به ذلك إلى إيراد شئ من الروايات الغريبة والمنكرة، ومن ذلك:

ما جاء عنه عند تأويل قوله تعالى: (لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ)[٢٥١]،قال: رأى صورة فيها وجه يعقوب، عاضاً على أصابعه، فدفع في صدره، فخرجت شهوته من أنامله، فكل ولد يعقوب ولد له أثنا عشر رجلاً، إلا يوسف، فإنه نقص بتلك الشهوة، ولم يولد له إلا أحد عشر.![٢٥٢]

وعند قوله تعالى: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنْ الظَّالِمِينَ)[٢٥٣]

قال: بعثه الله- يعني: يونس — إلى أهل قريته، فردوا عليه ما جاءهم به، وامتنعوا منه، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا، فاخرج من بين أظهرهم؛ فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه إياهم، فقالوا: ارمقوه فإن خرج من بين أظهركم، فهو والله كائن ما وعدكم، فلما كانت الليلة التي وعدوا بالعذاب في صبيحتها أدلج ورآه القوم، فخرجوا من القرية إلى براز من أرضهم وفرقوا بين كل دابة، وولدها، ثم عجوا إلى الله، فاستقالوه، فأقالهم، وتنظر يونس الخبر عن القرية، وأهلها، حتى مر بهم مار، فقال: ما فعل أهل القرية؟ فقال: فعلوا أن نبيهم خرج من بين أظهرهم، عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى براز، فخرج يونس ينظر العذاب فلم ير شيئا قال: جربوا علياً كذباً، فذهب مغاضباً لربه حتى أتى البحر[٢٥٤].

ومع أن ابن جبير عاش في الكوفة زمناً طويلاً ، إلا أنه لم يتأثر بمنهج مدرستها في هذا الجانب إلا قليلاً، حيث إنها كانت من أكثر المدارس بعداً عن نقل أخبار بني إسرائيل.

ولعل ابن جبير قد تأثر في هذا بشيخه ابن عباس- رضي الله عنهما- لاسيما وأنه أكثر الناقلين عن ابن عباس للإسرائيليات، بل إن جل المروي في الإسرائيليات عن ابن عباس جاء من رواية ابن جبير وكان من أكثر المكيين رواية وعناية بها.

ثانيا: أشهر مفسري التابعين من الموالي في المدرسة المدنية:

بعد أن عرضنا نموذجين لأشهر المفسرين من الموالي في المدرسة المكية، فإننا نعرض هنا لنموذجين في المدرسة المدنية، وأولهما هو: محمد بن كعب القرظي[٢٥٥].

لمحه موجزه عن حياة محمد بن كعب:

اسمه ونسبه:

هو محمد بن كعب بن حبان بن سليم بن أسد القرظين يكنى أبا حمزة[٢٥٦]، وهو منسوب إلى بني قريظة، وهى قبيلة من قبائل اليهود التي كانت تسكن قريباً من المدينة ، كان أبوه ممن سبي يوم قريظة، وكان ممن لم ينبت الشعر[٢٥٧] ، فترك، سكن الكوفة، ثم المدينة[٢٥٨]

ووهم من قال: ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد قال البخاري: إن أباه كان ممن لم ينبت من سبي قريظة[٢٥٩].

ثناء العلماء عليه:

قال ابن سعد: كان ثقة عالماً كثير الحديث ورعاً[٢٦٠]

وقال ابن المديني وأبو زرعة والعجلي: ثقة، وزاد العجلي: مدني، تابعي، صالح، عالم بالقرآن[٢٦١]

وقال عون بن عبد الله [٢٦٢]: ما رأيت أحداً أعلم بتأويل القرآن من القرظي[٢٦٣]

وقال ابن حبان: من عباد المدينة، وعلمائهم بالقرآن[٢٦٤]

وقال ابن كثير: كان عالماً بتفسير القرآن[٢٦٥]

وقال الذهبي: كان من أئمة التفسير[٢٦٦]

وفاته: توفي- رحمه الله- سنة تسعين، وهو في المسجد جالس للتحديث، فانهدم المسجد وأهلكه مع أصحابه[٢٦٧]

مميزات تفسيره:

تميز تفسير محمد بن كعب- رحمه الله- بإبرازه للجانب الوعظي والتذكيري للآيات، فقد كان محباً للوعظ والقصص، وكان يؤثر ويبكى بقصه وتذكيره.

وكان له جلساء من أعلم الناس بالتفسير، وكان يقص عليهم.

والناظر في تفسيره يجد شاهداً لذلك

ولعل من أهم مميزات تفسيره ما يلى:

١- اهتمامه بالوعظ والتذكير: قال في الحلية: قال محمد بن كعب القرظي: لو رخص لأحد في ترك الذكر، لرخص لزكريا عليه السلام، قال الله تعالى: (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ (٤١)) [٢٦٨]، ولو رخص لأحد في ترك الذكر ، لرخص للذين يقاتلون في سبيل الله، قال الله تعالى: (أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [٢٦٩][٢٧٠]

٢- **اهتمامه بالسير:** ومما يدل على هذا أن محمد بن إسحاق- صاحب كتاب- المغازي، نقل كثيراً من القصص والحوادث عن طريق محمد بن كعب.

يقول سزكين[٢٧١] في تاريخ التراث: ويتضح من الروايات التي ذكرها الطبري في تاريخه أن ابن إسحاق استخدم كتاباً للقرظي، ذا مضمون تاريخي[٢٧٢]

هذه هى أهم مميزات التفسير عند هذا العلم، وهذا العالم بالتفسير.

٣- **تأثره بشيوخ المدرسة المدنية في باب التفسير:**

مما ساعد محمد بن كعب على التقدم في باب التفسير، لقاؤه بابن عباس، كما أنه في المقابل لم يلق أحداً من فقهاء المدينة، الذين كانوا يتورعون عن التفسير، فهذا وغيره جعل لهذا التابعي الصدارة في مدرسة التفسير بالمدينة.

ولو عاش هذا العلم في غير مدرسة المدينة، لكان نتاجه أكثر، لكنه عاش في المجتمع المدنى الذي تأثر بشيوخه المقلين في باب التفسير، والمشتغلين بعلوم أخرى، كالحديث، والمغازي، والسير، فكان هذا هو الغالب على الناقلين من الرواة بالمدينة(٢٧٣).

فالمدنيون من أكثر التابعين إحجاماً عن التفسير؛ خشية الخطأ فيه، اقتداءً بنهج كثير من الصحابة، فهذا ابن عمر- رضي الله عنهما — لم يكن يرضى عن منهج ابن عباس، ولم يكن يعجبه توسعه في التفسير، حتى سمعه يفسر معنى قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا) (٢٧٤) فقال: قد كنت أقول ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنه قد أوتي علماً(٢٧٥).

وقد كانت هذه سمة عامة فقهاء المدينة، فكانوا يخشون من القول في تفسير القرآن، حذراً ألا يبلغ أداء ما كلف من إصابة صواب القول فيه(٢٧٦).

وعن عبيد الله بن عمر قال: لقد أدركت فقهاء المدينة، وإنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع(٢٧٧).

وكان سعيد بن المسيب الذي عده غير واحد من الأئمة من أعلم التباعين على الإطلاق، وأنه فقيه الفقهاء(٢٧٨)

فعن يزيد ابن أبي يزيد(٢٧٩) قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم الناس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع(٢٨٠).

وعن يحي بن سعيد، قال: سمعت رجلاً يسأل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن، فقال: لا أقول في القرآن شيئاً[٢٨١]

قال الذهبي معلقاً على هذا: ولهذا قل ما نقل عنه في التفسير[٢٨٢]

وعن عمرو بن مرة، قال: سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن، فقال: لا تسألني عن القرآن، وسل من يزعم أنه لا يخفي عليه شيء منه: - يعني عكرمة- [٢٨٣]

وفضلا عن ذلك الإحجام، فقد كان التابعون في المدينة، ينكرون على من يكثر في التفسير، ولذا لما قدم عكرمة إلى المدينة، كان سعيد بن المسيب ينكر عليه كثرة تحديثه في التفسير[٢٨٤].

وإضافة إلى ما سبق فقد كان جل اهتمام المدنيين الاشتغال بالحديث، ومدارسته رواية ودراية، ولذا فقد كانوا من أعلم الناس بالمغازي، والسنن، والآثار الواردة عنه صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: أعلم الناس بالمغازي أهل المدينة، ثم أهل الشام، ثم أهل العراق... فأهل المدينة أعلم بها لأنها كانت عندهم[٢٨٥].

هذا هو الاهتمام الغالب على التابعين من اهل المدينة، تناقل الحديث ومعرفة المغازي والسير، مع علم الفقه المعتمد على الأثر، والذي يأتي بعد علم الحديث، وهذا ليس بمستغرب على مدينة عاش فيها المصطفي صلى الله عليه وسلم، وتوفي فيها ودفن فيها، وبقي فيها الكثير من أصحابه – رضي الله عنهم – والذين حفظوا أقواله، وأفعاله، وتقريراته، بل وصفاته الخلقية والخُلُقية.

وهكذا تأثر محمد بن كعب القرظي بهذا المنهج، فقل نتاجه في التفسير وخاصة في تلك الفترة التي عاش فيها في المدينة.

وقد كانت حلق العلم تعج بتدارس وتعليم تلك السيرة العطرة، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ثم جاء من بعدهم الأتباع الذين تناقلوا ما ورثوه من علم الرواية والأثر، وقد أغناهم هذا المحفوظ عن كثرة الاشتغال بالرأي

والاجتهاد، مع ما يضاف إلى ذلك من قلة المسائل الواردة والحادثة في المجتمع المدني البعيد عن الثقافات الوافدة، أو الفتن الحادثة، فكان التابعون فيها لا يأخذون بالرأي إلا اضطراراً، ولا يفرعون المسائل، ولا يستخرجون أحكاماً لمسائل لم تقع ، بل لا يفتون إلا بما حصل ووقع(٢٨٦).

ومع تلك الدروس في الحديث والفقه والسيرة، إلا أن أهل المدينة لم يعتنوا بكتابة وتدوين تلك العلوم، وقد توفي الكثير منهم ولم يدون كتاباً.

يقول الإمام مالك: ولقد هلك ابن المسيب ولم يترك كتاباً، ولا القاسم بن محمد، ولا عروة بن الزبير، ولا ابن شهاب(٢٨٧).

ويرجع عدم الاعتناء هذا، إلى كراهية بعضهم له، خشية أن يشابه صنيعهم هذا صنيع أهل الكتاب، أو أن تختلط كتبهم مع كتاب الله تعالى.

فعن عبد الله بن العلاء(٢٨٨)، قال: سألت القاسم أن يملي علي أحاديث فمنعني، وقال: إن الأحاديث قد كثرت على عهد عمر، فناشد الناس أن يأتوا بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها، ثم قال: مثناه كمثناه (٢٨٩) أهل الكتاب. قال: فمنعني القاسم يومئذ أن أكتب حديثاً (٢٩٠).

ولعل سؤالاً ينشأ من خلال ما تقدم، ألا وهو: لماذا كان التوجه في المدينة للاعتناء بالعلوم التي مر ذكرها، ولم يكن الاعتناء بها في مكة؟

والجواب على ذلك أن المرحلة المدنية لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت تمثل استقرار الناس، وقيام الدولة، فأصبح المسلم يعيش في ظل دولة فتيه وقوية، فكان يعيش استقراراً نفسياً وعاطفياً، فأصبح البحث في القضايا المتصلة بحياة الناس، والذي مظنته الحديث والفقه، فكان الاشتغال بهذا أكثر من غيره، وكذلك الاشتغال بالمغازي، والسير، على أن الفترة المكية لم تكن كذلك، فقد كانت غير مستقرة، حيث كانوا مضطهدين، ومضيق

عليهم، اقتصادياً، واجتماعياً، فلم يكن ذاك التوجه إلى تلك العلوم التي نشأت في المدينة، لأن حاجة الناس تدعو إليها، بينما هذا لم يكن موجوداً في مكة، وكذلك أمور التشريع عندما نزل القرآن في المجتمع المدني، والله أعلم.

ثانيا: أبو العالية الرياحي(٢٩١)

اسمه ونسبه وحياته:

هو أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي، نسبة إلى قبيلة رياح، وهو من بطن من بطون تميم، وهو ينسب إليها ولاءً، لأنه كان مولى لامرأة من يربوع، من بني رياح. (٢٩٢)

وهو من كبار التابعين المخضرمين بالبصرة، مع أنه عاش في المدينة مدة، فقد أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين(٢٩٣).

وقد كان مملوكاً لامرأة من يربوع، من بني رياح، ثم أعتقته يوم الجمعة في أحد الجوامع، وقد ذكر هذا بنفسه، إذ يقول:

كنت مملوكاً لأعرابية، فاستقبلتني يوم الجمعة، فقالت أين تنطلق يالكع؟ قلت: أنطلق إلى المسجد، فقالت:أي المساجد؟ قلت: المسجد الجامع، قالت: انطلق يالكع، قال: فذهبت أتبعها حتى إذا دخلت المسجد، فوافقنا الإمام على المنبر، فقبضت على يدي، فقالت: اللهم أدخره عندك ذخيرة، اشهدوا يا أهل المسجد إنه سائبه الله ليس لأحد عليه سبيل إلا سبيل معروف، قال: فتركتني وذهبت قال: فما تراءينا بعد(٢٩٤).

وقال أيضاً: كنا عبيداً مملوكين، منا من يؤدي الضرائب، ومنا من يخدم أهله، فكنا نختم كل ليلة مرة، فشق ذلك علينا، فجعلنا نختم كل ليلتين مرة، فشق ذلك علينا، فجعلنا نختم كل ثلاث ليال مرة، فشق ذلك علينا، حتى شكا بعضنا إلى بعض، فلقينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمونا أن نختم كل جمعة، أو قال: كل سبع، قال: فصلينا، ونمنا، ولم يشق علينا(٢٩٥).

ثناء العلماء عليه:

قال عنه الذهبي: الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أحد الأعلام... [٢٩٦]

وقال أبو بكر بن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية، وبعده سعيد بن جبير، وقد وثق أبا العالية الحافظان: أبو زرعه، وأبو حاتم[٢٩٧].

وكان ابن عباس يجله، ويرفعه على السرير، وقريش أسفل السرير، فتغامزت به قريش، فقال ابن عباس: هكذا العلم، يزيد الشريف شرفاً، ويجلس المملوك على الأسرة[٢٩٨]

وفاته:

اختلف في وفاته، فقيل: سنة تسعين، وقيل: سنة ثلاث وتسعين[٢٩٩]

أسباب تأثره بالمنهج المكي في التفسير:

مما يلفت النظر عند قراءة تفسير أبي العالية، أن أبا العالية مع أنه يعتبر من مفسري البصرة،وممن عاش فيها ومات بها، إلا أن تأثره بها كان قليلاً إذا ما قورن بأثر المدرسة المكية فيه، فقد قال بقولها، ومال إلى رأيها في كثير من تأويلاته[٣٠٠].

ولعل من العوامل والأسباب التي أثرت عليه، كثرة تردده على مكة، فقد ثبت أنه حج إليها ستا وستين حجة، كما سبق.

وكان ابن عباس يدنيه ويقربه منه ويقول عن نفسه: كنت ألزم ابن عباس، فيرفعني على السرير وقريش أسفل السرير، فتغامزت به قريش، فقال ابن عباس: هكذا العلم، يزيد الشريف شرفاً، ويجلس المملوك على الأسرة[٣٠١].

وربما كان هذا الاهتمام من ابن عباس سبباً في جعل أبي العالية يستقل بكثير من الآراء عن مدرسته، فكانت له شخصيته المتميزة، وبعد تفسيره عن السمة الغالبة على تفسير أصحابه من البصريين، وخاصة ما يتعلق

بالتفسير الوعظي، فقد كان- رحمه الله- غير راض عن منهج المدرسة البصرية، وذلك لإكثارها من الوعظ والتذكير، وخاصة على يد الحسن البصري ومن نحا نحوه.

ولذا لما سئل عن الحسن مرة، قال: رجل مسلم يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأدركنا الخير، وتعلمنا قبل أن يولد الحسن(٣٠٢)

وقد خالف منهج المدرسة البصرية في الحرص على كثرة التذكير بنصوص الوعد والتخويف، وذكر بنصوص الوعد والرجاء، وكان يقول: إني لأرجو ألا يهلك عبد بين نعمتين:

نعمه يحمد الله عليها، وذنب يستغفر الله منه(٣٠٣)

ولعل هذا وغيره من الأسباب التي ميزت تفسير أبي العالية، وجعلت له منهجاً خاصاً به انفرد به أصحابه.

وكان من أهم الجوانب في تأثره بالمنهج المكي ما يلي:

١- اهتمامه بمشكل الآيات، وقوله بقول المكيين في بيان مشكلها:

ومن ذلك ما جاء عنه عند تأويل قوله تعالى: (فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ)(٣٠٤) فقد قال: كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أول من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة(٣٠٥).

٢- عنايته بالمتشابه من القرآن وكلياته:

ومن ذلك عند تأويل قوله تعالى: (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٣٠٦) إذ يقول: الأليم: الموجع في القرآن كله(٣٠٧).

هذا مثال الكليات.

٣- وأما مثال المتشابه، فعند قوله تعالى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) [٣٠٨] حيث يقول: كل فرج ذكر في القرآن فهو من الزنا إلا هذه الآية (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) [٣٠٩] فإنه يعني: الستر[٣١٠]

٤- بعده عن الأهواء:

تميز أبا العالية –رحمه الله- ببعده عن الأهواء، والنحل التي كانت منتشرة بالبصرة، كالحرورية[٣١١] والقدرية[٣١٢]، وكان يقول: تعلموا القرآن، فإذا تعلمتموه، فلا ترغبوا عنه، وإياكم وهذه الأهواء، فإنها توقع العداوة والبغضاء بينكم، فإنا قد قرأنا القرآن قبل أن يقتل (يعني: عثمان) بخمس عشرة سنة.

وكان- رحمه الله- كثيراً ما يوصي بلزوم الإتباع ويحذر من الإحداث والابتداع.

ومما جاء عنه أيضا قوله: قرأت المحكم بعد وفاة نبيكم بعشر سنين، فقد أنعم الله علي بنعمتين لا أدري أيهما أفضل: أن أهداني للإسلام، أم لم يجعلني حرورياً. [٣١٣]

ومما تقدم يظهر أن أبا العالية كان في منهجه أقرب إلى منهج المدرسة المكية أكثر من أصحاب ابن عباس أنفسهم، وكان كذلك بعيداً عن الأهواء، بل كان يحذر منها، وإن مما بليت به الأمة قديماً وحديثاً هو الإحداث والابتداع، وترك الجامعة والأتباع، فنعوذ بالله من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

أسباب قلة المروي عنه في التفسير:

مع تقدم أبي العالية في سنه، وتقدمه في علوم القرآن، إلا أننا نجد أن المروي عنه في التفسير كان قليلاً إذا ما قرون بغيره من التابعين، وخاصة أصحابه البصريين، ولعل من أسباب ذلك ما يلي:

١- قلة الرواة عن أبي العالية:

فقد ذهب كثير من عمله بسبب ذلك، فعن أبي بكر ابن أبي داود قال: ذهب علم أبي العالية، لأنه لم يكن له رواة[٣١٤]

٢- أن جل تفسيره جاء من رواية الربيع ابن أنس:

وفى هذا يقول الإمام الذهبي عن الربيع: سمع من أبي العالية، وأكثر عنه[٣١٥]

بل إن كثيراً من الأقوال المروية من تفسير الربيع، هي في الحقيقة من تفسير أبي العالية، وليست من تفسير الربيع، ولذا فإنه لو أضيف كثير من تفسير الربيع لأبى العالية، لكان من أكثر التابعين بعد المشاهير منهم، كالحسن، وقتادة، ومجاهد[٣١٦].

٣- **حبه للخفاء:**

فقد كان- رحمه الله- يؤثر عدم الظهور ويحب الخفاء، ويكره جلبة الناس، وكثرة السائل والمتعلم، وكان يؤثر الإقلال من الفتوى، والبعد عن مجالس العامة، وكان إذا جلس إليه أربعة قام [٣١٧] وكان يقول: تعلمت الكتاب والقرآن، فما شعر بي أهلي، وما رئي في ثوبي مداد[٣١٨]

٤- كراهيته لكتابه العلم:

قال أبو خلده[٣١٩]:

قلت لأبي العالية: أعطني بعض كتبك، قال: لو كنتُ كتبت شيئاً لأعطيتك وأكرمتك[٣٢٠]

٥- تشدده في قبول الرواية:

فقد كان من أشد البصريين في قبول الأخبار، وفي هذا يقول عن نفسه: كنا نسمع الرواية بالبصرة عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم نرض حتى ركبنا إلى المدينة فسمعناها من أفواههم.

وقال أيضاً:

كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام، فأول ما أتفقد من أمره صلاته، فإن وجدته يقيمها ويتمها، أقمت، وسمعت منه، وإن وجدته يضيعها، رجعت ولم أسمع منه، وقلت: هو لغير الصلاة أضيع[٣٢١]

قلة الوعظ في تفسيره، وانتقاده للمكثرين من الوعظ في التفسير وأسباب ذلك:

مر معنا فيما سبق أن أبا العالية كانت له شخصية متميزة، وكان تفسيره بعيداً عن السمة الغالبة على تفسير أصحابه البصريين، لاسيما فيما يتعلق بالتفسير الوعظي والإكثار منه.

بل إن الناظر في تفسيره يلمس عدم الرضي منه- رحمة الله- عن منهج المدرسة البصرية، وذلك لإكثارها من الوعظ والتذكير في جانب التفسير، وخاصة الحسن البصري، ومن تبعه وتأثر به في ذلك.

بل ربما كان يصرح أحياناً إذا سئل عن بعض رواد مدرسة الوعظ، فقد سئل عن الحسن مرة، فقال: رجل مسلم، يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأدركنا الخير، وتعلمنا قبل أن يولد الحسن[٣٢٢].

وكان- رحمه الله- ينتقد منهج بعض الزهاد، فعندما زاره عبد الكريم أبو أميه[٣٢٣] وعليه ثياب صوف، قال له: هذا زى الرهبان، إن المسلمين إذا تزاوروا تجملوا[٣٢٤]

وقد خالف منهج المدرسة البصرية في الحرص على كثرة التذكير بنصوص الوعد والتخويف، وذكر بنصوص الوعد والرجاء، ولذا يقول: إني لأرجو ألا يهلك عبد بين نعمتين:

نعمة يحمد الله عليها، وذهب يستغفر الله منه[٣٢٥]

إضافة إلى ما سبق، فإن من أهم أسباب قلة الوعظ في تفسيره ما يلي:

١- تأثره بالمنهج المكي، والذي كان بعيداً عن أسلوب الوعظ والتذكير في الأعم الأغلب.

٢- أنه كان يؤثر عدم الظهور، ويحب الخفاء، ويكره جلبة الناس، وكثر السائل، والمتعلم، وكان يؤثر الإقلال من الفتوى، والبعد عن مجالس العامة، وكان إذا جلس أربعة قام، وكان يقول: تعلمت الكتاب والقرآن، فما شعر بي أهلي، ولا رئي في ثوبي مداد[٣٢٦]

٣- ومن الأسباب أيضا:

أنه كان من أهل العناية بعلوم القرآن، وخاصة القراءة، فقد كان إماماً في ذلك، وكان له عناية خاصة بمشكل القرآن، والأشباه والنظائر، والكليات.

ولعل هذا وغيره من الأسباب هي التي ميزت تفسير أبي العالية، وجعلت له منهاجا خاصا انفرد به عن أصحابه، في عدم التعرض للأسلوب الوعظي الذي كان رائجا في زمنه، وهذا الرأي الذي ذهب إليه أبو العالية هو رأي أصحاب الحديث في الغالب، فقد كانوا يرون أن كثرة الوعظ والتذكير، هو من أساليب القصاص والمذكرين، ولذلك كانوا يتحاشون مجالسهم.

موقفه من الرواية عن أهل الكتاب وأثر ذلك على تفسيره:

مع أن أبا العالية كان من المتشددين في قبول الأخبار إلا أنه كان من المتساهلين في رواية الإسرائيليات، لأنه كان يذهب في ذلك مذهب المكيين، وقد كان عدد المنقول عنه كثيراً، إذا ما قورن بمجموع تفسيره، وإن كان غالب ما جاء عنه في هذا من الروايات المقبولة، وقد حرص في نقلها على الاختصار. (٣٢٧)

ومن الأمثلة على الآثار التي رواها على سبيل الاختصار، ما ذكره ابن جرير في تفسيره عن أبي العالية عند تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ) (٣٢٨) حيث يقول: يعنى ذا القعدة وعشراً من ذي الحجة، وذلك حين خلف موسى أصحابه، واستخلف عليهم هارون، فمكث على الطور أربعين ليلة، وأنزل عليه التوراة في الألواح – وكانت الألواح من زبرجد- فقربه الرب إليه نجياً وكلمه، وسمع صريف الأقلام، وبلغنا أنه لم يحدث حدثاً في الأربعين ليلة حتى هبط من الطور(٣٢٩).

ثالثا: أشهر مفسري التابعين من الموالي في المدرسة البصرية:

الحسن البصري: لمحة موجزة عن حياته – رحمه الله–:

اسمه ونسبه:

هو الحسن بن أبي الحسن ياسر أبو سعيد، مولى زيد ثابت، ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي(٣٣٠).

مولده: ولد الحسن في بيت أم سلمه- زوج النبي صلى الله عليه وسلم- بالمدينة، لسنتين بقيتا من خلافة عمر وكانت أم الحسن مولاة لأم سلمه أم المؤمنين- رضي الله عنها- (٣٣١)

نشأ الحسن بوادي القرى، وكان فصيحاً، روى عن عمر، وعثمان وعلي وابن عمر وابن عمرو وابن عباس وأنس بن مالك، وعمرو بن العاص، وأسامة بن زيد وجابر بن عبد الله وغيرهم كثير(٣٣٢)

ثناء العلماء عليه: كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً، قال معتمر بن سليمان: كان أبي يقول: الحسن شيخ أهل البصرة[٣٣٣]

وقال أبو قتادة: ما رأيت أحداً أشبه رأياً بعمر بن الخطاب من الحسن[٣٣٤]

عوامل السبق عند الحسن: هناك عاملان رئيسان وراء تفوق الحسن وسبقه في علم التأويل، أولهما: تقدمه في علوم العربية، ويتضح هذا من خلال ما يلي:

أ- فصاحته: لأنه نشأ في البادية، حيث الفصاحة، واللسان العربي المبين والبعيد عن لوثة المدن، وما يخالطها من عجمة الرقيق، ثم نشأته في بيت أم المؤمنين أم سلمه – رضي الله عنها- ثم تتلمذه المبكر على يد جلة من أكابر الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم أجمعين – كل ذلك كان له الأثر الأكبر على منطقه وحسن عبارته، مما جعل القارئ لتفسيره يلحظ ذلك التفوق والتميز، وتلكم الفصاحة التي فاق بها الحسن أصحابه أقرانه من التباعين، ومن بعدهم.إن السبك القوي في نظم الكلام والقدرة الفائقة في اختيار أعذب الألفاظ، وأخصرها وأبلغها وقعاً في نفوس السامعين، كان من الأسباب الرئيسة في قبول وانتشار أقواله وتفسيراته، وحرص الناس على روايتها وحفظها. قال الأعمش:مازال الحسن يعتني بالحكمة حتى نطق بها[٣٣٥].

ب- تقدمه في النحو، وعدم لحنه: فلم يعرف عن الحسن أنه لحن، بل إن رجلا قال له: يا أبا سعيد: والله ما أراك تلحن، فقال يا ابن أخي: سبقت اللحن[٣٣٦] وكان لا يرى من كان يلحن أن يتقدم الناس، فقد سئل عن إمام يلحن، فقال: أخروه، وكان يقول: تعلموا – وفقكم الله- العلم للأديان، والطب للأبدان، والنحو لتقويم اللسان[٣٣٧]

ج- سبقه في معرفة الغريب من اللغة: كان من نتاج تلك الفصاحة، والتقدم في معرفة لسان العرب ولغاتها، أن اتخذه كثير من الأئمة حجة في اللغة، واستشهدوا جمل من كلماته في ذلك، وكان رحمه الله من أكثر التابعين معرفة واستخداماً للكلمات الغريبة في وعظة، وحديثه، وفى إجابته لمن يستفتيه[٣٣٨]

ثانيهما: إمامته في الوعظ والتذكير:

من أهم المميزات التي تميز بها تأويل الحسن عن غيره من موالي التابعين، ميله إلى الوعظ في تفسيره، والإكثار من ذلك ، ولذا يجد الناظر في كتب التفسير والزهد والرقائق، بل والأدب، أنها عنيت بإيراد أقوال الحسن وتفسيراته أكثر من غيره، وقد حاز قصب السبق في الوعظ، فكان لا يجارى ولا يدانى.

وقد سلك- رحمه الله- في تفسيره المسلك الوعظي، فكان كلما سنحت له فرصة للوعظ من خلال تفسير آية، وعظ وذكر[٣٣٩]

والسبب في إكثاره من الوعظ والتذكير في تفسيره خصوصاً وفى مواعظه عموماً، أنه انتشرت في عهده دور الغناء واللهو والشراب والطرب، وبرزت القيان والجواري، وخاصة في قصور الحكام وكبار القوم، ونتيجة لذلك فسدت الضمائر، وضعفت النفوس، وضاع الزهد والخشوع... وأمام هذا الانهيار الروحي والأخلاقي كان لابد للكلمة الصادقة أن تقال، ولصوت الحق أن يظهر، لكي يوقظ الناس من ذلك السبات، ولكي يحرك القلوب، وينذر بالعواقب ويذكر بروح الإسلام وسمو أخلاقه ومبادئه، وبيان كيفية تعامله مع مثل هذه الظروف والأحداث والتقلبات[٣٤٠].

هذا وإن القارئ لتفسير الحسن البصري- رحمه الله – يجد أن المنهج الوعظي قد غلب على تفسيره، وأثر فيه، فقد كان يحرص على عرض التوجيهات القرآنية والتذكير بها بأسلوب ومسلك وعظي قل أن يوجد عند غيره، ولذلك اختص الحسن بخصائص من أهمها:

١- أسلوب المخاطبة في تفسيره الوعظي:

فالمخاطبة والحوار والوعظ المباشر والموجه للسامعين، كان من الأساليب التي كثر في تفسيره، ومن أمثلة ذلك ما ورد عنه عند قوله تعالى: (وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً) [٣٤١] فقد قرأ الحسن آيات في البقرة، فلما أتى على هذه الآية قال: ألم تروا إلى ثمار الدنيا كيف ترذلون بعضه؟، وإن ذلك ليس فيه رذل[٣٤٢].

ومن ذلك ما ورد عنه عند قوله تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) [٣٤٣].

حيث يقول: اعملوا وابشروا، فإنه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات، ويزيدهم من فضله[٣٤٤].

٢- أسلوب القسم:

لقد أكثر الحسن من أسلوب القسم في تفسيره الوعظي، وهذا يدل على اهتمامه بتأكيد المعنى الذي يرد في الآية التي يريد تفسيرها.

ومن ذلك ما ورد عند قوله تعالى: (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ) [٣٤٥] حيث يقول: والله ما لهم عليها من صبر، ولكن ما أجرأهم على النار[٣٤٦]

ومن ذلك أيضا أنه قرأ هذه الآية: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) [٣٤٧] ثم وقف وقال: إنه والله ما أمسى على ظهر الأرض عالم إلا وفوقه من هو أعلم منه، حتى يعود العلم إلى الذي علمه[٣٤٨]

٣- شدة عبارته على المخالفين:

إن القارئ لتفسير الحسن يجد أثر المنهج الوعظي في شدة عبارته وحدتها على المخالفين لأمر الله – عز وجل- وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما ورد عنه عند تعالى: (وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) [٣٤٩] قال – رحمه الله-: وصفق بيديه: وكيف عفا عنهم وقد قتل منهم سبعون، وقتل عم الرسول صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته،

وشج في وجهه، ثم يقول: قال الله – عز وجل – قد عفوت عنكم إذ عصيتموني ألا أكون استأصلتكم، ثم قال: هؤلاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله، غضاب الله، يقاتلون أعداء الله، نهو عن شئ فصنعوه، فو الله ما تركوا حتى غموا بهذا الغم، فأفسق الفاسقون اليوم يتجرثم كل كبيرة، ويركب كل داهية، ويسحب عليها ثيابه، ويزعم أن لا بأس عليه، فسوف يعلم[٣٥٠] وغيرها من الأمثلة كثير.

ثالثا: اهتمامه باللغة واستخدامها في مجال الوعظ:

كان الحسن فصيحاً بليغاً، فقد نشأ في بداية حياته في البادية حيث اللسان العربي المبين والبعيد عن لكنة العجم، وكان لتتلمذه على يد جلة من كبار الصحابة- رضي الله عنهم- أكبر الأثر في حسن منطقة وجمال عبارته،مما يجعل القارئ لتفسيره ومواعظه يلحظ التميز والفصاحة التي فاق بها أصحابه من التابعين من الموالي وغيرهم.

إن اختيار أجمل الألفاظ وأخصرها وأبلغها، كان من أقوى الأسباب في قبول أقواله وتفاسيره و انتشارها وحرص الناس على روايتها وحفظها.

هذا بالإضافة إلى ما كان عليه من الإطلاع الواسع وحفظ لغات العرب ومعرفة كلامهم، ومن الأمثلة على ذلك:

ومن ذلك ما ورد عنه عند تفسيره لقوله تعالى: (وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ) [٣٥١]حيث يقول: خرقوا – بالتخفيف- كلمة عربية، كان الرجل إذا كذب في النادي، قيل:خرقها ورب الكعبة[٣٥٢]

ومن ذلك أيضاً ما ورد عنه عند تأويل قوله تعالى: (حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ) [٣٥٣] فعن أيوب قال: سألت الحسن عن هذه الآية، فقال: لو كنت امرأ عربياً لعرفت ما هي، إنما هي فاستمرت به[٣٥٤]

وكان من نتاج تلك الفصاحة والتقدم في معرفة لسان العرب أن اتخذه كثير من أئمة اللغة حجة واستشهدوا بجمل من كلماته في كتبهم، ومنهم: ابن منظور، وابن قتيبة، وابن الأثير، والزمخشري، وغيرهم.

وكان الحسن – رحمه الله– من أكثر التابعين معرفة واستخداماً للكلمات الغريبة في وعظه وتفسيره، وفي إجابته لمن يستفتيه، ومن ذلك:

ما ورد عنه في مقام الوعظ، حيث قال:((ما تشاء أن ترى أحدهم أبيض بضاً يملخ في الباطل ملخاً، ينفض مذرويه، ويضرب أسدريه، يقول: ها أنذا فاعرفوني، قد عرفناك، فمقتك الله، ومقتك الصالحون)) [٣٥٥]

وقد تميز رحمه الله بعناية كبيرة ودراية في التفريق بين مشتبه الألفاظ القرآنية، حتى أنه ليصحح لبعض كبار معاصريه.

ومن ذلك ما أخرجه عبد الرزاق بسنده، أن أبا العالية سئل عن تأويل قوله تعالى: (الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ(٥)) [٣٥٦] فقال: هو الذي لا يدري عن كم انصرف: عن شفع أو عن وتر؟ فقال الحسن: مه ليس كذلك، وإنما هو الذي يسهو عن وقتها حتى تفوت[٣٥٧]

قال الزركشي: لم يتدبر أبو العالية حرف (في) و (عن) وتنبه له الحسن، فلو كان الأمر ما فهم أبو العالية لقال: ((في صلاته)) فلما قال: (عن صلاتهم) دل المعنى على أن المراد به الذهاب عن الوقت.[٣٥٨]

وهكذا نجد أن الحسن رحمه الله كان عالماً باللغة العربية ومشتقاتها، وألفاظها الغريبة والمشتبهة التي يجهلها كثير ممن عاش في زمنه من الموالي وغيرهم وليس أدل على ذلك أكبر من استشهاد أئمة اللغة الكبار بكلامه، وتضمين ذلك في أمهات المصادر اللغوية كاللسان لابن منظور وغيره.

رابعاً: تفسيره لكثير من آيات القرآن بالأسلوب الوعظي:

قد مر معنا أن الحسن كان إماماً في الوعظ لا يجارى، ونتيجة لهذا الأسلوب الذي تميز به واشتهر، فقد أثر عليه هذا الأسلوب في تفسيره لآيات القرآن الكريم، ومن أمثلة ذلك:

١– عند قوله الله تعالى (فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ) إلى قوله تعالى :(وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) [٣٥٩] حيث يقول: عظم والله في الوزر كما تسمعون، ورغب في الأجر كما تسمعون، إذا ظننت

يا ابن آدم أنك لو قتلت الناس جميعاً، فإنك لك من عملك ما تفوز به من النار، كذبتك والله نفسك، وكذبك شيطانك[٣٦٠].

١- عند قول الله تعالى (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ) [٣٦١] حيث يقول الحسن: هذا نبيي، هذا خياري، استنوا به خذوا في سننه وسبيله، لم تغلق دونه الأبواب، ولم تقم دونه الحجبة، ولم يغد عليه بالجفان، ولم يرجع عليه بها، وكان يجلس بالأرض، ويأكل طعامه بالأرض، ويلعق، ويلبس الغليظ، ويركب الحمار ويردف بعده، وكان يقول: ((من رغب عن سنتي فليس مني)) [٣٦٢] ثم يقول الحسن: فما أكثر الراغبين عن سنته، التاركين لها، ثم علوجاً فساقاً، أكلة الربا والغلول، قد سفههم ربي ومقتهم، زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا وزخرفوا هذه البيوت، يتأولون هذه الآية (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنْ الرِّزْقِ) [٣٦٣] وإنما جعل ذلك لأولياء الشيطان، قد جعلها ملاعب لبطنه وفرجه[٣٦٤]

٢- وعند تفسير قوله تعالى (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) [٣٦٥] يقول الحسن: إن كان الرجل قد جمع القرآن وما يشعر جاره، وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير وما يشعر به الناس، وإن كان الرجل ليصلى الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به، ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً. ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وذلك أن الله يقول: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً) وذلك أن الله ذكر عبداً صالحاً فرضي فعله فقال: (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيّاً) [٣٦٦][٣٦٧]

هذه ثلاث نماذج اخترتها من عشرات من التفسيرات التي فسر بها الحسن البصري بعض آيات القرآن بالأسلوب الوعظي، ولولا الإطالة لذكرت من ذلك الشيء الكثير ولكن بحسب القارئ أن يعرف هذا الأسلوب الذي

انتهجه الحسن- رحمه الله- حتى أثر هذا الأسلوب في أخص تلاميذه وهو الإمام قتادة بن دعامة السدوسي، رحم الله الجميع وأسكنهم فسيح جناته.

الخاتمة

بعد هذا البحث المضني عن أشهر الموالي من التابعين وأثرهم في التفسير، نجد أن أكثر الذين حملوا العلم الشرعي في عهد التابعين هم من الموالي، والسبب يعود في ذلك- والله أعلم- إلى أن هؤلاء الموالي كانوا من المماليك، وكان فداء الواحد منهم أن يطلب العلم الشرعي ليكون حراً لوجه الله، كما مر معنا في قصة أبي العالية الرياحي، ومن ذلك أيضا أن أولئك الموالي كانوا من أشد الناس صبراً وتحملاً وجلداً، في عمل الحياة اليومي، وطلب العلم الشرعي والعبادة وقراءة القرآن، إلى غير ذلك من أعمال البر الأخرى، التى قد لا يستطيع غيرهم أن يقوم بها.

وقد يقول قائل: إن في هذا تنقصاً للعرب، الذين كانوا على درجة من الذكاء والشجاعة، والحفظ، والحرية، وغير ذلك من الصفات التي أهلتهم أن يكونوا من خير الأمم التي أخرجت للناس.

فنقول: ليس في هذا تنقصاً لهم لأن أغلب أولئك كانوا مشغولين بمهمات عظام وخاصة الجهاد في سبيل الله، وفتح البلدان، ونشر الدين الإسلامي الجديد الخاتم لكل الأديان، والمشاركة في مقومات الحياة من تجارة وزراعة وصناعة وغير ذلك مما لا يستطيع المماليك فعله أو المشاركة فيه.

وإن أهم النتائج التي تم التوصل إليها ما يلي:

١- يعتبر التابعون من الموالي من أكثر التابعين اجتهاداً وتأثيراً في التفسير.

٢- كان من الموالي من يتجنب الرواية عن بني إسرائيل، وكان هناك من يكثر عنهم كمجاهد – رحمه الله- ولذلك كانوا يتقون تفسيره، وكذلك سعيد بن جبير.

٣- أخطأ مجاهد – رحمه الله – وأبعد النجعة في كثير من تأويلاته، مع أنه كان من أكثر الموالي تفرغاً وتخصصاً في التفسير.

٤- كان الحسن البصري من أكثر الموالي في سلوك التفسير الوعظي، ولذلك فهو يعد أول من سلك المنهج الوعظي في التفسير في عهد التابعين.

٥- أكثر ما روي في التفسير كان عن الحسن، وذلك لتساهله في الرواية وحرصه على نشر العلم.

٦- يعتبر الحسن من أكثر التابعين بعد قتادة في تفسير القرآن بالسنة.

٧- أن محمد بن كعب القرظي كان يحب أن يخفي عمله، وكان لا يحب الظهور، ولا يحب أن يكثر عليه طلبة العلم، ولا يحب كثرة المسائل، وربما كان ذلك راجع إلى طبيعته الانطوائية، وعدم حب الشهرة، مما جعل ذلك ينعكس سلباً على عدم شهرته.

٨- كان سعيد ابن جبير ممن أكثر من روى عن ابن عباس، بل صار من أكثر مفسري مكة نقلاً عنه.

٩- تميز ابن جبير من بين المكيين باهتمامه بآيات الأحكام، وذلك بسبب تأثره بمنهج أهل الكوفة الذين عنوا بهذا الجانب.

١٠- كان ابن جبير من المتوسعين في الإسرائيليات وله في ذلك غرائب، وأكثر ما جاء عن ابن عباس كان من طريقه.

١١- كان عطاء إماماً في فقه المناسك، يدل على كثرة المروي عنه فيها.

١٢- تميز بعض في أصل من أصول التفسير، فأكثر من الاعتماد عليه.

١٣- فاق عكرمة غيره في رواية أسباب النزول.

الهوامش

[١] المقدمة من ص٤٠١-٤٠٢

[٢] الدعوة إلى الإسلام، محمد أبو زهرة، ص٨١

[٣] سورة الأنعام آيه(٦٢)

[٤] سورة يونس الآيه: (٣٠)

[٥] لسان العرب لابن منظور، (٢٩٢/٢٢)

[٦] القاموس المحيط:ص٥٤٤

[٧] سورة آل عمران: الآية: (١٥٠)

[٨] سورة محمد آية ١١

[٩] سورة البقرة: الآية: (٢٨٦)

[١٠] لسان العرب لابن منظور، (٢٩٢/٢٠)

[١١] المصباح المنير: ص٦٧٢

[١٢] الموالي، ودورهم في الدعوة إلى الله تعالى، د. عماد علي عبد السميع، ص٢٤.

[١٣] لسان العرب(٢٩٠/٢٠)

[١٤] المصباح المنير: ص٦٧٢

[١٥] القاموس المحيط: ص٥٤٥

[١٦]سورة مريم الآية: (٥)

[١٧] لسان العرب (٢٩٠/٢٠)

[١٨] القاموس المحيط: ٤٥٢

[١٩] المصباح المنير: ص ٦٧٢

[٢٠] مختار الصحاح: ص٤٥

[٢١] الترمذي في النكاح، باب: ما جاء لا نكاح إلا بولي برقم (١١٠٢)، والترمذي في النكاح، باب في الولي برقم (٢٠٨٣)

[٢٢] البخاري في الأدب المفرد، بلفظ (... صالح الأخلاق) برقم (٢٧٣)

[٢٣]) الموالي في العصر الأموي، د/ محمد النجار، ص١٦٩ (بتصرف يسير)

[٢٤]) الحاكم في المستدرك (٣٤١/٤) والبيهقي في الكبرى (٢٩٢/١٠)

[٢٥]) الطبراني في الكبير(٣٩٨/١١) بنحوه.

[٢٦]) تقدمه تخريجه. ص٣

[٢٧]) تقدمه تخريجه. ص٣

[٢٨]) نيل الأوطار للشوكاني: (١٢٤/٢)

[٢٩]) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، مادة: س ي ب. ومختار الصحاح للرازي، مادة: س ي ب.

[٣٠]) الموالي في العصر الأموي، للطيب النجار، ص ١٧٥(بتصرف)

[٣١]) مصنف عبد الرزاق، كتاب الولاء، باب: ميراث السائب (٢٦/٩).

[٣٢]) سورة الأحزاب، الآية :[٣٧]

[٣٣]) المبسوط للسرخسي: (٨١/٨)

[٣٤]) سنن أبي داود، كتاب الفرائض ، باب الولاء برقم (٢٩١٥)، وفى رواية: (الولاء لمن أعطى الثمن وولي النعمة) برقم (٢٩١٦)

[٣٥]) سنن الدار مي، كتاب السير، باب مولى القوم منهم برقم (٢٢٤/٢)

[٣٦])تقدم ص ٥

[٣٧]) الموالي في العصر الأموي، للطيب النجار، ص١٤

[٣٨]) مقدمة ابن خلدون، ص٢٥٤

[٣٩]) المصدر السابق

[٤٠]) مروج الذهب للمسعودى، (٢٧٠/٢) وانظر: الموالي د.عماد علي عبد السميع ص٣٣-٣٤.

[٤١]) تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢٥٧/٨)

[٤٢]) وقد عرفه الجرجاني بقوله: هو قرابة حكمية حاصلة من العتق أو الولاء، كتاب التعريفات ص٥٤.

[٤٣]) سورة الحجرات الآية (١٣)

[٤٤]) رواه الإمام أحمد (٤١١/٥). والهيتمي في مجمع الزوائد (٢٦٩/٣)

[٤٥]) سورة البلد من الآية (١١-١٤)

[٤٦]) سنن ابن ماجه، كتاب الرهون، باب أجر الأجراء برقم (٢٤٤٢)

[٤٧]) وهي التي تكون بين المسلمين والكفار، لإقرار الحق والأمن، ورد العدوان وحماية ونشر الدعوة.

[٤٨])سورة محمد من الآية (٤)

[٤٩]) سورة النساء من الآية (٩٢)

[٥٠]) سورة المجادلة من الآية (٣)

[٥١]) رواه البخاري في العتق، باب كفارة الجماع في نهار رمضان برقم (١٢٥٤)؟؟

[٥٢]) سورة المائدة الآية (٨٩)

[٥٣]) سورة التوبة الآية (٦٠)

[٥٤]) مسند الإمام أحمد برقم: (٢١٥٤)

[٥٥]) سنن أبي داود، كتاب العتق، باب: أي الرقاب أفضل، برقم (٣٩٦٧)

[٥٦]) البخاري في كتاب العتق، باب فضل من أدب جاريته وعلمها(٨٩٩/٢) برقم ٢٤٠٦

[٥٧]) الموطأ، كتاب العتق، باب: العتق عن الميت برقم (٢٧٤٠)

[٥٨]) المصدر السابق برقم (٢٧٤١)

[٥٩]) البخاري، كتاب العتق، باب: ما يستحب من العتاقة في الكسوف والآيات (٨٩٢/٢ برقم ٢٣٨٣)

[٦٠]) مسلم، كتاب الإيمان، باب: صحبة المماليك...، برقم (١٦٥٧)

[٦١]) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في حق المملوك، برقم (٥١٦٨)

[٦٢]) رواه أبو داود في الأدب، باب ما جاء في حق المملوك، برقم (٥١٥٩)

[٦٣]) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب: في صلة الرحم، برقم (١٦٩٢)

[٦٤]) مسلم، كتاب الإيمان، باب: إطعام المملوك مما يأكل...، برقم (١٦٦٢)

[٦٥]) البخاري في كتاب الأطعمة، باب الأكل مع الخادم برقم (٥١٤٤)

[٦٦]) البخاري كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها برقم(٣٠).

[٦٧]) سنن أبي داود كتاب الأدب، باب في حق المملوك، برقم (٥١٦٤) والترمذي برقم (٢٠٣١)

[٦٨]) سورة المائدة الآية (٤٥)

[٦٩]) انظر المبسوط للسرخسي (٢٢٤/٧)

[٧٠]) سنن أبي داود، كتاب الديات، باب من قتل عبده أو مثل به، برقم (٤٥١٩)

[٧١]) مسلم في كتاب الألفاظ من الأدب، باب حكم إطلاق العبد والأمة والمولى والسيد برقم (٢٢٤٩)

[٧٢]) الترمذي في كتاب الأدب، باب ما يكره من الأسماء برقم (٢٨٣٦) وأبو داود في كتاب الأدب، باب تغيير الاسم القبيح.

[٧٣]) الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المملوك الصالح برقم (١٩٨٥)

[٧٤]) مسلم في كتاب الإيمان، باب صحبة المماليك برقم (١٦٦٥)

[٧٥]) الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان إلى الخادم برقم (٢١٢٢)

[٧٦]) الموالي ودورهم في الدعوة إلى الله ص٨٠

[٧٧]) المصدر السابق: ص ٨٠

[٧٨]) يوم ذي قار كان قبل البعثة النبوية بثماني سنوات، وقيل بثلاث، وذي قار ماء لبكر بن وائل وهو قريب من الكوفة وهي بينها وبين واسط. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٢٩٣/٤)

[٧٩]) انظر: ديوان أبي تمام ، ص٣٤.

[٨٠]) الموالي ودورهم في الدعوة إلى الله ص٨٠

[٨١]) المصدر السابق، ص٨٢ (بتصرف يسير)

[٨٢]) دلائل النبوة للبيهقي، (٤٥٦/١)

[٨٣]) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (٥٦٩/٤)

[٨٤]) سنن ابن ماجه برقم ٢٢٥ في فضل العلماء

[٨٥]) الموالي ودورهم في الدعوة إلى الله ص٨٣

[٨٦]) المصدر السابق ص٩٠ بتصرف.

[٨٧]) الكامل لابن الأثير (١٧٣/٢) بتصرف

[٨٨]) البخاري في كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها برقم(٨٠)

[٨٩]) النهاية لابن الأثير (١٢٩/٣)

[٩٠]) المسند للإمام أحمد (٤١١/٥)

[٩١]) البخاري في الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد برقم (٦٤٠٦)

[٩٢]) الترمذي في كتاب البر والصلة، باب النهي عن ضرب الخادم ، برقم (٢٩٥)

[٩٣]) البخاري في الشهادات، باب: شهادة الإمام والعبيد برقم(٢٥١٦)، ومن ذلك أيضاً قصة حادثة الإفك،... وفيها: وإن تسأل الجارية تصدقك، فدعي النبي صلى الله عليه وسلم بريرة وسألها واستشهدها.والقصة بطولها في البخاري في كتاب التفسير، باب :(لولا إذ سمعتموه) برقم(٤٤٧٣)

[٩٤]) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب قتال أهل البغي، باب: جواز تولية الإمام من ينوب عنه وإن لم يكن قرشياً. برقم (٢٥٤/٥)

[٩٥]) المصدر السابق.

[٩٦]) البخاري في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زيد بن حارثه برقم(٣٥٢٤)

[٩٧]) رواه ابن ماجه برقم (١٥٤) وهو في مصنف أبن أبي شيبة، كتاب الفضائل، باب فضل أبي بكر برقم (٣١٩٣١)

[٩٨]) سيرة ابن هشام (١٢٤/٢)

[٩٩])تقدم في الصفحة الماضية.

[١٠٠]) تاريخ الأمم والملوك للطبري (٢٢٦/٣)

[١٠١]) كتاب الخراج لأبي يوسف، ص٥٠.

[١٠٢]) الموالي لأبي عبيد القاسم ص٢٧٦

[١٠٣]) الموالي د.عماد علي عبد السميع ص١١٢ (بتصرف)

[١٠٤]) المصدر السابق ص١١٢-١١٣ (بتصرف)

[١٠٥]) تاريخ الأمم والملوك للطبري (١١٦/٤) ، وابن الأثير (٦/٣)

[١٠٦]) لموالي د.عماد علي عبد السميع ص١١٤ (بتصرف)

[١٠٧]) الحمراء: يعنى الأعاجم لقبوا بذلك لحمرة بشرتهم.

[١٠٨]) الأموال لأبي عبيد ص٢٤٧

[١٠٩]) المصدر السابق ص ٢٣٤، والخراج لأبي يوسف ص ٤٤

[١١٠]) فتوح البلدان للبلاذري ص ٦٣٢

[١١١]) الأموال لأبي عبيد ص٢٣٩

[١١٢]) فتوح البلدان للبلاذري ص ٦٣١ ، وتاريخ الطبري ٢١٠/٤

[١١٣]) سيرة عمر ابن خطاب لابن الجوزي ص٩٩

[١١٤]) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٠٥/٦)

[١١٥]) عثمان – رضي الله عنه – لمحمد حسنين هيكل ص٤٥

[١١٦]) الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية محمد جمال الدين سرور ص ٥٨

[١١٧]) الموالي في العصر الأموي، د. الطيب النجار، ص٢٤

[١١٨]) المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة، ص٢٧

[١١٩]) البداية والنهاية لابن كثير (٢١٥/٧)

[١٢٠]) فعلى يد معاوية بن أبي سفيان وعبد الله بن أبي سرح عرف المسلمون لأول مرة ركوب البحر في معركة ذات الصواري البحرية ضد الروم، وعلى يد عبد الله بن أبي سرح تم فتح جزء كبير من شمال إفريقيا وعلى يد الوليد بن عقبة تم فتح أرمينية. انظر تاريخ الطبري (٨٧/٤)

[١٢١]) سنن الترمذي في الفضائل باب فضائل أبي بكر الصديق (٢٨٩/٥)

[١٢٢]) الموالي د.عماد علي عبد السميع ص ١٢٠ (بتصرف)

[١٢٣]) المصدر السابق.

[١٢٤]) عبقرية الإمام علي، لعباس العقاد، ص١٥٧.

[١٢٥]) الموالي د.عماد علي عبد السميع ص ١٢٢ (بتصرف)

[١٢٦]) الدعوة إلى الإسلام ، توماس أرنولد، ص٦٩

[١٢٧]) المصدر السابق.

[١٢٨]) مقدمة تفسير مقاتل، ص٦٥، وانظر: تفسير التابعين، (٩٦٠/٢-٩٦١)

[١٢٩]) هو أبو زكريا زياد الفراء، ولد بالكوفة وتربى في مدارسها، وأبوه زياد هو الأقطع، حيث قطعت يده في الحرب مع الحسين بن علي وكان مولى ابن ثروان، توفي ٢٠٧هـ، انظر:

[١٣٠]) الفهرست لابن النديم ، ص٧٣.

[١٣١]) تهذيب التهذيب لابن حجر (٥٦٦/٥)

[١٣٢]) وفيات الأعيان لابن خلكان (٤٦٢/٣)

[١٣٣]) البخاري في التفسير، باب: (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) برقم (٤٣٥٣)

[١٣٤]) البخاري في التفسير، باب: (وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط...) برقم (٤٢٤٠)

[١٣٥]) مسلم في كتاب التفسير، باب:ج٣ ص١٥٢٢

[١٣٦]) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، د. فهد عبد الرحمن الرومي، ص ٢٤ (بتصرف)

[١٣٧]) التفسير والمفسرون محمد حسين الذهبي، (٣٦/١)

[١٣٨]) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١٧١/٤)

[١٣٩]) الموالي د.عماد علي عبد السميع ص ١٧٦ (بتصرف يسير)

[١٤٠]) السير: (٤٤٩/٤)(١٧٥)، تهذيب التهذيب: (٣٥١/٥)(٧٦٤٩) طبقات المفسرين للأدنهوي، ص١١، طبقات المفسرين للسيوطي، ٣٥، تفسير مجاهد، ص ٧٥، طبقات الحفاظ، ص٣٥، طبقات المفسرين للداودي (٣٠٥/٢)، طبقات الفقهاء للشيرازي، ص٦٩.

[١٤١]) السير: (٤٤٩/٤)، طبقات المفسرين للداودي (٣٠٦/٢)

[١٤٢]) السير: (٤٤٩/٤)، وانظر التقريب: ص ٥٢٠(٦٤٨١)

[١٤٣]) الطبقات: (٤٦٦/٥). السير: (٤٤٩/٤)، طبقات المفسرين للداودي (٣٠٥/٢) ولم تذكر المراجع اسم مجاهد في النسب، مما يدل على أن أباه كان من النازحين الذين جاءوا فاستوطنوا مكة، كما لم تبين لنا الجهة التي قدم منها، ولا كيفية قدومه، ولم توضح كذلك شيئاً عن فترة شبابه، ولا عن الأعمال التي كان يزاولها، اللهم إلا ما كان من اشتغاله بالعلم وإخلاصه فيه. انظر: تفسير مجاهد، ص٧٨

[١٤٤]) انظر: التهذيب: (٣٥١/٥) (٧٦٤٩)، شذرات الذهب: (١٢٥/١)

[١٤٥]) شذرات الذهب: (١٢٥/١)، وذكر أن الذي أخذ بيده: عبد الله عباس، وهو خطأ ، والصحيح أنه عبد الله ابن عمر، لأن الحديث رواه البخاري، في الرقاق، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كن في الدنيا...)(٢٣٥٨/٥)

[١٤٦]) وفي الحلية: حر سده، وهو تصحيف، والخربندج والخربنده، هو حارس الحمار، أو مؤجره ومربيه واللفظة فارسية، انظر: السير: (٤٥٢/٤)

[١٤٧]) السير:(٤٥٢/٤)، والحلية: (٣١٩/٣)، ميزان الاعتدال: (٢٥/٦)

[١٤٨]) السير : (٤٥٣/٤)،

[١٤٩]) هو الليث بن أبي سليم بن زنيم، صدوق، اختلط جداً، ولم يتميز حديثه فترك، من السادسة، مات سنة: ثمان وأربعين. التقريب:(٥٦٨٥)

[١٥٠]) الحلية: (٣١٩/٣)

[١٥١]) المصدر السابق (٣٢٠/٣)

[١٥٢]) المصدر السابق

[١٥٣]) تفسير مجاهد: ص٨١.

[١٥٤]) المصدر السابق.

[١٥٥]) سورة الفرقان: ٦٧

[١٥٦]) تفسير ابن جرير: (٩/٤١١) (٢٦٤٩٠)

[١٥٧]) تفسير مجاهد: ص٨٢.

[١٥٨]) المصدر السابق.

[١٥٩]) لم أعثر على ترجمته.

[١٦٠]) الحلية: (٣/٣٢٠)، والجرح والتعديل: (٨/٣١٩)

[١٦١]) هو أبان بن صالح بن عمير بن عبيد القرشي مولاهم، وثقة الأئمة ووهم ابن حزم فجهله وابن عبد البر فضعفه، من الخامسة، مات سنة بضع عشرة وهو ابن خمس وخمسين.أنظر: التقريب: ١٣٧.

[١٦٢]) الحلية: (٣/٣٢٠)، السير: (٤/٤٥٠) قلت: وقد يظهر أن هناك تعارضاً بين الروايتين، والصحيح أنه لا تعارض بينهما، لأن الرواية الأولى تدل على أن المراد عرض القرآن قراءة عليه، لتمام الضبط، والتجويد، وحسن الأداء، وأما الرواية الثانية، فالمراد أنه عرضه عليه عرض سؤال وتفسير، وفي هذا دلالة على صبر مجاهد وجلده في تلقي العلم، ومن ذلك أيضاً ما قال هو عن نفسه حيث يقول: لو أعلم من يفسر لي أية:(وَالْمُحْصَنَاتُ مِنْ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ)(النساء: من الآية٢٤)، لضربت إليه أكباد الإبل، رواه ابن جرير في تفسيره: (١/٢٧).

[١٦٣]) شذرات الذهب: (١/١٢٥)، طبقات المفسرين للداودي (٢/٣٠٧) ميزان الاعتدال: (٦/٢٥)

[١٦٤]) تفسير الطبري: (١/٦٥)(١٠٩)

[١٦٥]) تذكرة الحفاظ (١/٩٢). التهذيب (٥/٣٥٢)

[١٦٦]) السير: (٤/٤٥٢)

[١٦٧]) تأريخ يحي بن معين: (٢/٥٥٧)

[١٦٨]) هو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، أدرك ثلاثين من الصحابة، ثقة فقيه، من الثالثة، مات سنة سبع عشرة. التقريب: (٣٤٥٤)

[١٦٩]) تفسير الطبري: (١/٦٥)(١٠٧)

[١٧٠]) مقدمة أصول التفسير، ص١٠٣؟

[١٧١]) السير:(٤٤٩/٤)، وقال في الميزان: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة. ميزان الاعتدال: (٢٥/٦)

[١٧٢]) خصيف: بالتصغير، هو ابن عبد الرحمن الجزري، أبو عون، رأى أنساً، وثقة ابن معين، مات:(٣٧) هـ. انظر: اللسان: (٢١٠/٧)، التقريب:(١٧١٨)

[١٧٣]) شذرات الذهب: (١٢٥/١)، التهذيب(٣٥٢/٥)

[١٧٤]) سورة البقرة من الآية: ٦٥

[١٧٥]) تفسري الطبري: (٣٧٣/١)

[١٧٦]) تفسري الطبري: (٣٧٣/١)

[١٧٧]) سورة المائدة من الآية: ١١٤

[١٧٨]) تفسري الطبري: (١٣٥/٥)

[١٧٩]) المصدر السابق.

[١٨٠]) تفسر ابن كثير: (٦٥٠/٢)

[١٨١]) سورة مريم من الآية: ٧١

[١٨٢]) تفسري الطبري: (٣٦٦/٨)

[١٨٣]) رواه ابن ماجة في الطب باب الحمى، (٣٤٧٠) بتصحيح الألباني، وهو في السلسة برقم:(٥٥٧)، وهو في المسند: (٤٤٠/٢)

[١٨٤]) رواه في المسند: (٢٥٢/٥)، والبخاري في التاريخ:(٦٣/٧)، وقال في مجمع الزوائد: إسناده حسن: (٣٠٧/٢)

[١٨٥]) سورة البقرة من الآية: ٢٦٠

[١٨٦]) تفسيري الطبري: (٥٩/٣)، قلت: والعجيب أن أكثر الأقوال التي يخالف فيها مجاهد غيره نجده يتأولها بضرب المثل.!

[١٨٧]) سورة البقرة من الآية: ٥٧

[١٨٨]) تفسري الطبري: (٣٣٣/١)

[١٨٩]) سورة الانشقاق:١٦

[١٩٠]) تفسري الطبري: (٥١٠/١٢)

[١٩١]) سورة الطارق الآية: ١٢

[١٩٢]) تفسري الطبري: (٥٤٠/١٢)

[١٩٣]) سورة الأعراف من الآية: ٨)

[١٩٤]) تفسري الطبري: (٤٣٢/٥)

[١٩٥]) سورة الأعراف: من الآية: ٢٧)

[١٩٦]) تفسري الطبري: (٤٦٢/٥) وهو خلاف!

[١٩٧]) سورة الواقعة: ٧٥)

[١٩٨]) تفسري الطبري: (٦٥٨/١١)

[١٩٩]) سورة النجم: ١)

[٢٠٠]) زاد المسير (٣٣٧/٧) ، والماوردي (٤٦٢/٥)، وابن عطية (٣٨٤/١٥)

[٢٠١]) تفسري الطبري: (٦٥٨/١١)

[٢٠٢]) سورة البقرة: من الآية ٣٥)

[٢٠٣]) مفحمات الأقران للسيوطي: ص (١٣)

[٢٠٤]) سورة البقرة: من الآية ٧٣)

[٢٠٥]) مفحمات الأقران: ص (١٥)

[٢٠٦]) سورة البقرة: من الآية ٢٦٠)

[٢٠٧]) مفحمات الأقران: ص(٢٣)

[٢٠٨]) سورة آل عمران: من الآية ٨٦)

[٢٠٩]) مفحمات الأقران: ص (٢٥)

[٢١٠]) السير: (٣٤٢/٣٢١/٤)، الحلية لأبي نعيم: (٣٠١/٤)، طبقات ابن سعد: (٤٨٥/٦)

[٢١١]) طبقات ابن سعد: (٤٨٥/٦)

[٢١٢]) تاريخ يحيى ابن معين: (١٩٧/٢)

[٢١٣]) تاريخ الثقات للعجلي، ص١٨١

[٢١٤]) طبقات الفقهاء للشيرازي، ص٨٢

[٢١٥]) تاريخ خليفة بن خياط: (ص:١٩٦)

[٢١٦]) العقد الثمين: (٥٥٠/٤)

[٢١٧]) البداية والنهاية: (١٠٨/٩)

[٢١٨]) طبقات المفسرين: (١٨١/١) (١٨١)

[٢١٩]) طبقات ابن سعد: (٤٨٦/٦)

[٢٢٠]) السير: (٣٣٥/٤)

[٢٢١]) هو ميمون بن مهران، يكنى أبا أيوب، ثقة كثير الحديث، ولي لعمر بن عبد العزيز خراج الجزيرة، مات سنة (١١٧). طبقات ابن سعد (٤٨٥/٦). الحلية: (٨٤/٤). صفه الصفوة: (٣٦٠/٢)

[٢٢٢]) السير: (٣٢٥/٤)، طبقات المفسرين: (١٨٢/١)، الحلية: (٣٠٣/٤) طبقات ابن سعد (٤٩١/٦)

[٢٢٣]) السير: (٣٤١/٤-٣٤٢). الحلية: (٣٠٥/٤)

[٢٢٤]) طبقات ابن سعد: (٤٨٥/٦) وكان ابن عباس يجله، ويقدر علمه، فقد كان إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، يقول: أليس فيكم ابن أم الدهماء. يعنى سعيداً. الحلية: (٣٠٣/٤)، وطبقات ابن سعد:(٤٨٥/٦)

[٢٢٥]) السير: (٣٢٢/٤)

[٢٢٦]) البداية والنهاية: (٥٤/٣)

[٢٢٧]) لعلل لابن المديني، ص٤٩.

[٢٢٨]) طبقات ابن سعد: (٤٨٥/٦)

[٢٢٩]) هو عثمان بن عاصم بن حصين، الإمام الحافظ، روى عن ابن عباس وجابر وأنس، وغيرهم من الصحابة، وروى عن مجاهد وابن جبير، والشعبي، وعدة ، السير: (٤١٢/٥)(١٨٢)

[٢٣٠]) طبقات ابن سعد: (٤٨٦/٦)

[٢٣١]) شذرات الذهب: (١٠٨/١)، طبقات ابن سعد: (٤٨٥/٦)، والذي يظهر أنه غضب عن سعيد لأنه لم يكن يكتب من قبل، فقد كان ابن عباس يحب من تلاميذه أن يكتبوا عنه.

[٢٣٢]) طبقات ابن سعد: (٤٨٥/٦)

[٢٣٣]) هو هلال بن خباب، العبدي مولاهم، أبو العلاء البصري، نزيل المدائن، صدوق، من الخامسة، مات سنة (٤٤)، التقريب: ص٥٧٥ (٧٣٣٤)

[٢٣٤]) الحلية: (٢٧٥/٤)

[٢٣٥]) سورة النساء: من الآية ٩٣)

[٢٣٦]) رواه البخاي، في كتاب التفسير، باب: (ومن يقتل مؤمناً متعمداً) (١٦٧٦/٤)(٤٣١٤)

[٢٣٧]) تفسير التابعين: (١٤١/١)

[٢٣٨]) هو عبد الله بن سليمان بن الأشعث، العلامة الحافظ، شيخ بغداد، السجستاني، صاحب التصانيف، انظر: السير: (٢٢١/١٣)، مختصر الكامل لابن عدي، ص٤٨٤ (١١٠١)

[٢٣٩]) شذرات الذهب: (١٠٢/١)، تفسير التابعين: (١٤٢/١)

[٢٤٠]) هو إسماعيل بن عبد الملك الطوسي صاحب إمام الحرمين، السير: (٦/٢٠)

[٢٤١]) طبقات المفسرين للداودي (١٨٢/١)، ومصنف عبد الرزاق (٢٦٦/٤).

[٢٤٢]) سورة الأنعام: من الآية ١٠٥)

[٢٤٣]) تفسير الطبرى: (٣٠١/٥)، وابن كثير: (١٥٦/٣) ، وقد تبع في ذلك قراءة ابن عباس.

[٢٤٤]) سورة الأعراف: من الآية ٤٠

[٢٤٥]) تفسير الطبري: (٤٩٠/٥)، وابن كثير: (١٥٦/٣)، وقد تبع في ذلك قراءة ابن عباس، وخالف قراءة ابن مسعود والتي هي: ((حتى يلج الجمل الأصفر)) كما عند الطبري: (٤٨٩/٥)

[٢٤٦]) تفسير التابعين: (١٤٤/١)، وهذا في الغالب، وإلا فإنه قد قال بقول الكوفيين وإن كان ذلك قليلاً.

[٢٤٧]) سورة البقرة من الآية: ٢٣٧)

[٢٤٨]) طبقات الحفاظ،ص٣١.

[٢٤٩]) الحلية: (٣٠٣/٤) طبقات ابن سعد: (٤٨٥/٦)

[٢٥٠]) طبقات ابن سعد: (٤٨٥/٦)، طبقات الحفاظ، ص٣١.

[٢٥١]) سورة يوسف: من الآية:٢٤)

[٢٥٢]) تفسير الطبري: (١٨٨/٧)، والقرطبي: (١١٢/٩)، والبغوي: (٢٢٨/٤)

[٢٥٣]) سورة الأنبياء الآية: ٨٧)

[٢٥٤]) تفسير الطبري: (٧٣/٧)

[٢٥٥]) كان ممن اهتم بالتفسير من الموالي في المدينة: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي مولاهم، وكذلك زيد بن أسلم العدوي الفقيه المفسر، مولى عمر بن الخطاب، ونافع الديلمي مولى ابن عمر، وعطاء بن يسار مولى

ميمونة، وإخوته الثلاثة وهم: سليمان وعبد الله وعبد الملك، وغيرهم كثير، لكنهم لم يصلوا إلى حد الشهرة والتأثير في التفسير كما حصل لغيرهم، الموالي وأثرهم في الدعوة إلى الله ص ١٨٣.

[٢٥٦]) الكنى والأسماء للإمام مسلم: (٢٨٦/١)، طبقات ابن سعد: (٢١٨/٥)

[٢٥٧]) لما غزا النبي صلى الله عليه وسلم بني قريظة، ونزلوا على حكم الله ورسوله، وحكم فيهم سعد بن معاذ رضي الله عنه، وذلك بأن: تقتل مقاتلتهم، وتسبى نساؤهم وذراريهم، فكان كل من أنبت الشعر يقتل، ومن لم ينبت لا يقتل، وهذا يدل على عدل الإسلام وسماحته، وهو أنه لا يقتل إلا من كان سبباً ومعيناً على القتل.

[٢٥٨]) طبقات ابن سعد: (٣١٨/٥)، شذرات الذهب(١٣٦/١)، السير: (٦٥/٥)، طبقات المفسرين للأدنه وي ص٩ رقم (١٢)

[٢٥٩]) انظر التقريب: (٦٢٥٧)، والذي قال ذلك: هو قتيبة، وهو خطأ، وإنما الذي ولد في عهد النبى صلى الله عليه وسلم هو أبوه، كما قال البخاري. انظر: تهذيب التهذيب: (٢٥١/٥) (٧٣٨٣).

[٢٦٠]) طبقات ابن سعد: (٢١٨/٥)

[٢٦١]) السير: (٦٧/٥)، والثقات للعجلي: (٦٥٤/٢)

[٢٦٢]) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي، أبو عبد الله، الكوفي، ثقة عابد، من الرابعة، مات قبل سنة عشرين ومائة. التقريب: (٥٢٢٣)

[٢٦٣]) السير: (٦٨/٥)، تهذيب التهذيب: (٢٥١/٥)

[٢٦٤]) الثقات للعجلي: (٣٥١/٥)، مشاهير علماء الأمصار: ص(٦٥)

[٢٦٥]) البداية والنهاية: (٢٨٩/٩)

[٢٦٦]) السير: (٦٧/٥)

[٢٦٧]) قال في السير: روي يعقوب الفسوي عن محمد بن فضل البزار قال: كان لمحمد بن كعب جلساء من أعلم الناس بالتفسير، وكانوا مجتمعين في مسجد الربذة، فأصابهم زلزلة، فسقط عليهم المسجد، فماتوا جميعاً تحته، وقد اختلف فى وفاته كثيراً. أنظر السير: (٦٦/٥)، تهذيب التهذيب: (٢٥١/٥)، طبقات ابن سعد: (٢١٨/٥).

[٢٦٨]) سورة آل عمران: الآية ٤١)

[٢٦٩]) سورة الأنفال: من الآية ٤٥)

[٢٧٠]) حلية الأولياء: (٣/٢٤٩)، وتفسير الطبري: (٣/٢٦١)

[٢٧١]) فؤاد سزكين، هو مؤلف كتاب: تاريخ التراث العربي.

[٢٧٢]) تاريخ التراث لسزكين: (١/٧٦)

[٢٧٣]) تفسير التابعين: (١/٣٦٠) (بتصرف)

[٢٧٤]) سورة الأنبياء: من الآية ٣٠)

[٢٧٥]) الحلية: (١/٣٢٠)

[٢٧٦]) تفسير الطبري: (١/٦٤)

[٢٧٧]) تفسير الطبري: (١/٦٢)

[٢٧٨]) السير: (٤/٢٢٤)، طبقات ابن سعد: (٥/١٢١)

[٢٧٩]) هو يزيد ابن أبي يزيد الضبعي، مولاهم، أبو الأزهر البصري، ثقة عابد، وهو من لينه، من السادسة، مات سنة ثلاثين، وهو ابن مائة سنة، التقريب: (٧٧٩٣).

[٢٨٠]) تفسير الطبري: (١/٦٣)

[٢٨١]) المصدر السابق: (١/٦٢)

[٢٨٢]) السير: (٤/٢٤٢)

[٢٨٣]) المصدر السابق: (١/٦٣)

[٢٨٤]) تفسير التابعين: (١/٥١٨)

[٢٨٥]) مقدمة في أصول التفسير، ص٦٠.

[٢٨٦]) تفسير التابعين: (١/٥١٨)

[٢٨٧]) المصدر السابق: (١/٥١٩) (بتصرف)

[٢٨٨]) هو عبد الله بن العلاء بن خالد بصري صدوق، وقال أبو حاتم: صالح. السير: (٧/٣٥١)

[٢٨٩]) قوله: مثناة كمثناة أهل الكتاب: هو كتاب وضعه أحبار بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام فيما بينهم على ما أرادوا من غير كتاب. ينظر: السير: (٥/٥٩)

[٢٩٠]) طبقات ابن سعد: (٥/٢١٧)

[٢٩١]) وهو ممن جمع بين خصائص المدرستين البصرية والمكية، مع أنه من تلاميذ المدرسة المدنية، وذلك لأنه عاش في البصرة مدة من الزمن، وتأثر بالمدرسة المكية لأنه كان يتردد على مكة كثيراً من أجل الحجج، فقد حج إليها ستاً وستين حجة، وكان يزور ابن عباس ويجالسه، وكان ابن عباس يدنيه ويجله ويقربه.

[٢٩٢]) السير: (٢٠٧/٤). لسان الميزان (٤٧١/٧)، الإصابة (١٤٤/٤)

[٢٩٣]) السير: (٢٠٧/٤)، الإصابة (١٤٤/٤)

[٢٩٤]) الطبقات لابن سعد: (٤٨٥/٦)

[٢٩٥]) السير: (٥٦٤/٤).

[٢٩٦]) السير: (٢٠٩/٤).

[٢٩٧]) المصدر السابق: (٢٠٨/٤)

[٢٩٨] المصدر السابق: (٢٠٨/٤)

[٢٩٩]) التاريخ الكبير للبخاري (٣٢٦/٣) السير: (٢١٣/٤).

[٣٠٠]) تفسير التابعين: (٢٩١/١)

[٣٠١]) السير: (٢٠٨/٤)

[٣٠٢]) السير: (٢٠٩/٤)

[٣٠٣]) حلية الأولياء: (٢٠٩/٤)

[٣٠٤]) الأعراف: من الآية ١٤٣

[٣٠٥]) تفسير البطري: (٥٥/٦)، وابن كثير (٥٦٧/٣)

[٣٠٦]) البقرة: من الآية ١٠

[٣٠٧]) تفسير الطبري: (١٥٧/١)، وتفسير ابن أبي حاتم (٤٤/١)

[٣٠٨]) سورة النور: من الآية٣٠)

[٣٠٩]) سورة النور: من الآية٣١)

[٣١٠]) تفسير الطبري: (٣٠٣/٩)، ومال ابن جرير إلى هذا القول لسياق الآية، لان المواد من سياق الآية الستر.

[٣١١]) الحرورية: هم الخوارج الذين خرجوا على علي، واجتمعوا في حروراء، ولذلك نسبوا إليها. انظر: معجم البلدان للحموي: (٢٨٣/٣).

[٣١٢]) القدرية: هم الذين قالوا: لا قدر وأن الأمر أنف، وهم أصحاب معبد الجهني، أنظر: معجم البدع لابن أبي علفة، ص٤٦٦، والملل والنحل للشهر ستاني ص٢٧-٢٨.

[٣١٣]) السير: (٢١٢/٤)، الحلية(٢٤٨/٢)

[٣١٤]) تهذيب التهذيب (١٧٢/٢).

[٣١٥]) السير (١٧٠/٦)

[٣١٦]) تفسير التابعين (٢٩٧/١). وقد قال د.الخضيري: ومن خلال تتبعي ومقارنتي بين الموري عن أبي العالية والربيع، وجدت أن (٧١، ٠) من تفسير الربيع هو في الحقيقة من أقوال وتفسير أبي العالية لكن الربيع نسبها إلى نفسه.

[٣١٧]) قلت: وهذا بخلاف بعض التابعين فقد كان يغضب إذا لم يأت إليه أحد ليتعلم منه أو يسأله، فسبحان مصرف القلوب.

[٣١٨]) السير (٢١٠/٤) . الحيله (٢٤٧/٢) .

[٣١٩]) هو خالد بن دينار السعدي، مشهور بكنيته، وكان من تلاميذ الرياحي، ينظر: التقريب: (١٦٢٧)

[٣٢٠]) السير (٢١٠/٤). الحلية (٢٤٧/٢)

[٣٢١]) الحلية: (٢٥٠/٢)، الرحلة في طلب الحديث، للخطيب البغدادي ، ص٩٣.

[٣٢٢]) السير: (٢٠٩/٤).

[٣٢٣]) هو عبد الكريم ابن أبي المخارق، واسم أبيه قيس أبو أميه البصري، صاحب تعبد وخضوع، مات سنة ست وعشرين، ينظر: التقريب: (٤١٥٦)

[٣٢٤]) الحلية: (٢٤٨/٢) ، السير: (٢١٣/٤)

[٣٢٥]) الحلية: (٢١٩/٢)

[٣٢٦]) الحلية: (٢٤٧/٢)، السير: (٢١٠/٤)

[٣٢٧]) تفسير التابعين: (٢٩٥/١)

[٣٢٨]) البقرة: الآية ١٥)

[٣٢٩]) تفسير الطبري: (٣١٩/١)، وابن أبي حاتم (١٠٧/١)

[٣٣٠]) تهذيب التهذيب (١٣٣/١) السير : (٥٦٤/٤)

[٣٣١]) السير: (٥٦٤/٤)

[٣٣٢]) تهذيب التهذيب (١٣٤/١)

[٣٣٣]) السير: (٥٦٤/٤)

[٣٣٤]) السير: (٥٧٧/٤)

[٣٣٥]) تفسير التابعين (٢٠١/١) بتصرف، وللاستزادة أنظر نفس المصدر ص (٢٠٢-٢٠٣)

[٣٣٦]) تفسير التابعين(٢٠١/١)

[٣٣٧]) الحسن البصري لابن الجوزي ص ٣٧.

[٣٣٨]) تفسير التابعين(٢٠٥/١-٢٠٦-٢٠٩) مع شئ من التصرف.

[٣٣٩]) تفسير التابعين(٢٠٩/١)

[٣٤٠]) تفسير الحسن البصري، د.محمد عبد الرحيم (٥٢٠/٢) بتصرف.

[٣٤١]) سورة البقرة من الآية: ٢٥

[٣٤٢]) تفسير الطبري (٢٠٨/١) والدر المنثور (٨٣/١)

[٣٤٣]) سورة غافر من الآية:٦٠

[٣٤٤]) تفسير الطبري (٢٦٤/٧)

[٣٤٥]) سورة البقرة من الآية: ١٧٥

[٣٤٦]) تفسير الطبري (١٦٧/٢)، والدر المنثور (٨٣/١)

[٣٤٧]) سورة يوسف من الآية:٧٦

[٣٤٨]) تفسير الطبري(٩٦/٢) والبغوي (١٨٥/١)

[٣٤٩]) سورة آل عمران من الآية:١٥٢

[٣٥٠]) تفسر القرطبي (٣٦/٧) والدر المنثور(٦٣/٣)

[٣٥١]) سورة الأنعام من الآية: ١٠٠

[٣٥٢]) تفسير القرطبي(٣٦/٧) والدر المنثور(٦٣/٣)

[٣٥٣]) سورة الأعراف من الآية: ١٨٩

[٣٥٤]) تفسير القرطبي(٥٤٥/٤) وابن الجوزي (٣٤٢/٢)

[٣٥٥]) انظر الفائق في غريب الحديث (١/١١٦) حيث ذكره وقال في شرحه: البض: رقيق البشرة، والملخ: الإسراع، والمذروان: فرعا الإليتين، والأسدران: العطفان، وانظر كذلك: النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير (١/٦٧٦)

[٣٥٦]) سورة الماعون الآية: ٥

[٣٥٧]) تفسر عبد الرزاق (٣/٤٦٤)

[٣٥٨]) الإتقان للزركشي (١/٢٥٤)

[٣٥٩]) سورة المائدة من الآية: ٣١-٣٢

[٣٦٠]) تفسير الطبري (٤/٥٤٥) وابن الجوزي (٢/٣٤٢)

[٣٦١]) سورة الأعراف من الآية: ٣٢

[٣٦٢]) متفق عليه، رواه البخاري في النكاح، باب الترغيب في النكاح (٥/١٩٤٩)، ومسلم في النكاح أيضاً باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه.

[٣٦٣]) سورة الأعراف من الآية:٣٢

[٣٦٤]) تفسير الطبري (٥/٤٧٣)

[٣٦٥]) سورة الأعراف الآية: ٥٥)

[٣٦٦]) سورة مريم الآية ٣.

[٣٦٧]) تفسير الطبري (٥/٥١٤)، والدر المنثور (٣/٤٧٦)

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم (طبعة مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة)

٢. الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط بدون.

٣. الإتقان في علوم القرآن للزركشي دار الكتب العلمية، بيروت

٤. الإصابة في تمييز أسماء الصحابة لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت ط١٤١٥

٥. الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، دار الكتب العلمية، بيروت ط١٩٨٦/١

٦. بحوث في أصول التفسير ومناهجة د. عبد الرحمن الرومي.

٧. البداية والنهاية لابن كثير لابن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١٤١٥

٨. تاريخ ابن معين ت: عبد الله أحمد حسن ، دار القلم ، بيروت ، ط بدون

٩. تاريخ الأمم والملوك للطبري، دار الفكر، بيروت، ط ١٣٩٩هـ

١٠. تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط ١٤٠٣هـ

١١. تاريخ الثقات للعجلي، ت: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١٤٠٥/١هـ

١٢. التاريخ الكبير للبخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣. تاريخ خليفة بن خياط، ت: أكرام ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٩م

١٤. تاريخ دمشق لابن عساكر، ت: عمر العمروي، دار الفكر ، بيروت ، ط١٤٠٨/١هـ

١٥. تذكرة الحفاظ للإمام الذهبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط٧

١٦. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط١٤١٩/٢هـ

١٧. جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٤١٥هـ

١٨. تفسير القرآن العظيم لابن كثير، دار الكتاب العربي، بيروت ط ١٤٢٢هـ

١٩. معالم التنزيل للبغوي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط١٣٧٥/٢هـ

٢٠. تفسير التابعين د. محمد الخضيري، دار الوطن، الرياض، ط١٤٢٠/١ هـ

٢١. تفسير الحسن البصري، ت: د.محمد عبد الرحيم، دار الحديث، القاهرة.

٢٢. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب العلمية، بيروت

٢٣. تفسير عبد الرزاق الصنعاني ، ت: محمود محمد عبده ، دار الكتب العلمية، بيروت ط ١٤١٥ هـ

٢٤. تفسير مجاهد بن جبر، ت: محمد عبد السلام، دار الفكر الإسلامي الحديث، ط١/١٤١٠
٢٥. التفسير والمفسرون د.محمد حسين الذهبي، دار الأرقم، بيروت، ط بدون
٢٦. تقريب التقريب لابن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا/د٣/١٤١١ هـ
٢٧. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ت: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت ط١/١٤١٧ هـ
٢٨. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، دار إحياء التراث العربي، بيروت
٢٩. الحسن البصري لأبي الفرج ابن الجوزي، مكتبة الخانجي، ط١/١٩٣١م
٣٠. الحلية لأبي نعيم الاصفهاني، ت: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت. ط١/١٤١٨
٣١. الحياة السياسية لمحمد جمال الدين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٩.
٣٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت .ط١/١٤١١
٣٣. الدعوة إلى الإسلام لتوماس آرنولد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٣/١٩٧٠
٣٤. دلائل النبوة للبيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت.ط/١٩٨٥م
٣٥. ديوان أبي تمام، دار الكتب العلمية، بيروت. ط بدون
٣٦. الرحلة في طلب الحديث للبغدادي، ت: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت . ط١/١٤١١
٣٧. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث الأزدي، المكتبة العصرية.
٣٨. سنن الدرامي، للإمام عبد الله بن عبد الرحمن، دار الريان، القاهرة، ط١/١٤٠٧
٣٩. سير أعلام النبلاء للذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١/١٤١٧
٤٠. شذرات الذهب لعبد الحي ابن العماد، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٤١. صحيح البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط٥/١٤١٤
٤٢. صحيح الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى، دار الكتب العلمية بيروت ط١/١٤٠٨
٤٣. صحيح مسلم بن الحجاج، ت: محمد عبد الباقي، دار الكتب العلمية بيروت ط١/١٤١٣
٤٤. الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط١/١٤١٧
٤٥. طبقات الحفاظ للسيوطي، مطبقة الاستقلال الكبرى، القاهرة/ط١/١٩٧٣
٤٦. طبقات الفقهاء للشيرازي، ت إحسان عباس، الرائد العربي، بيروت ط٢/١٤٠١
٤٧. طبقات المفسرين للأدنه و ي، ت: سليمان صالح ، مكتبة العلوم ، المدينة، ط١/١٤١٧

٤٨. طبقات المفسرين للداودي، ت: علي بن محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢/١٤١٥

٤٩. عبقرية الإمام علي، عباس العقاد، دار المعارف، مصر، ط٥/١٩٨١م

٥٠. طبقات المفسرين للسيوطي، ت: محمد عمر و مكتبة وهبة، ط ١ /١٣٩٦

٥١. العلل لابن المديني، ت: محمد الأعظمي، المكتب الإسلامي، دمشق، ط٢/١٤٨٠م

٥٢. الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، ط البابي الحلبي، القاهرة، ط١/١٣٩٦

٥٣. فتوح البلدان للبلاذري، مؤسسة المعارف، بيروت، ط١٩٨٧

٥٤. الفهرست لابن النديم، ت: ناهد عباس عثمان، دار قطري ابن الفجاءة، ط١/١٤٠٥

٥٥. القاموس المحيط للفيروز آبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. ط/١٤١٧

٥٦. الكامل في التاريخ لابن الأثير، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢/١٣٨٧

٥٧. كتاب الخراج لأبي يوسف، دار المعرفة ، بيروت ، ط بدون.

٥٨. الكنى والأسماء للإمام مسلم، ت: عبد الرحيمن القشقري، ط١٤٠٤

٥٩. لسان العرب لابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط/١٤١٦ هـ

٦٠. لسان الميزان لابن حجر العسقلاني دار الكتب العلمية بيروت، ط١/١٤١٦ هـ

٦١. المسبوط للسرخسي، دار المعرفة، بيروت، ط بدون

٦٢. مختار الصحاح للرازي، المكتبة العصرية، بيروت، ط٣-١٤١٨

٦٣. المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط بدون

٦٤. مروج الذهب للمسعودي، القاهرة، ط١/ ١٣٤٦ هـ

٦٥. مستدرك الحاكم، دار النهضة الحديثة، القاهرة، ط بدون

٦٦. مسند الإمام أحمد، ت: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة ط٤/١٣٧٣ هـ

٦٧. مشاهير علماء الأمصار لابن حبان، مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، ط بدون

٦٨. المصباح المنير، لابن المعزى، دار المعارف، القاهرة، ط١٩٧٧

٦٩. مصنف ابن أبي شيبة، إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، باكستان، ط١/١٤٠٦

٧٠. مصنف عبد الرازق الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط١/١٣٩٠

٧١. معجم البدع لابن أبي علفه، دار العاصمة، الرياض، ط١/١٤١٧

٧٢. معجم البلدان لياقوت الحموي، ت: فريد الجندي، دار الكتب العلمية بيروت ط١/١٤١٠
٧٣. معجم الطبراني الكبير، ت: حمدي السلفي، الدار العربي للطباعة، بغداد ط١/١٤٠٠
٧٤. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ت: شهاب الدين، دار الفكر، بيروت ط١/١٤١٨
٧٥. مفحمات الأقران في مبهمات القرآن للسيوطي، مؤسسة علوم القرآن، دمشق. ط بدون
٧٦. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، دار العلم للملايين، بغداد، ط ١٩٧٨
٧٧. مقدمة ابن خلدون ، ت: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١٤١٩
٧٨. مقدمة أصول التفسير لابن تيمية، ت: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، ط١/١٣٩١
٧٩. الملل والنحل للشهرستاني، ت: أمير مهنا، دار المعرفة، بيروت ط٦/١٤١٨
٨٠. الموالي في العصر الأموي للنجار، دار النيل للطباعة، القاهرة، ط١٩٤٩
٨١. الموالي ودورهم في الدعوة إلى الله تعالى، عماد علي، دار الكتب العلمية بيروت ط١/١٤٢٥
٨٢. موطأ الإمام مالك، ترقيم فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث، بيروت، ط بدون
٨٣. ميزان الاعتدال للذهبي، ت: علي معوض وآخرون، دار الكتب العلمية بيروت ط١/١٤١٦ هـ
٨٤. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ت: خليل شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط١/١٤٢٢ هـ
٨٥. نيل الأوطار للشوكاني، دار الكتب العلمية بيروت ط١/١٤١٥ هـ
٨٦. وفيات الأعيان لابن خلكان، ت: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١٣٩٧ هـ
٨٧. الدعوى إلى الإسلام، محمد أبو زهرة، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة ١٩٨٣م.
٨٨. عثمان بن عفان، محمد حسنين هيكل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م